آه.. يا نافوخي

الكاتب: أحمد عبد العزيز.

تدقيق لغوي: نهال جمال.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

تصميم غلاف: محمد محسن.

رقم الإيداع: 2020/19034

الترقيم الدولي: 978-977-6689-55-8

9 شارع مسجد المغفرة المتفرع من شارع العشرين

بجوارمدارس حسام الدين الخاصة فيصل الجيزة.

موبايل 01126026691 01061813345

01009823984

آه.. يا نافوخي

مقالات ساخرة

أحمد عبد العزيز

مقدمة

استيقظت يومًا في الصباح لأجد أن « **الدنيا اتشقلب حالها**»!

تغيرت ثقافة ومفاهيم كثيرة جدًّا في حياتنا ولا أدري متى وكيف..

ومن نغمات فيروز في الصباح وهي تداعب رائحة القهوة ويتخللها صوت أمواج البحر...

إلى «**أديك في السقف تمحر**» و«**باتون باليه بالسمسم**» ومهرجانات من تشنجات عصبية وصوت ألف مطرقة تدق على رأسك الذي تحول إلى «**حلة**» نحاسية قديمة يملؤها الصدأ تعيد ترديد الضجيج في صدى صوت معدني مرير كأصوات سحب «**رجل ترابيزة**» على السيراميك، وكائنات فضائية من الأكوان الموازية وشخصيات من أفلام «**الزومبي**» ترتدي ملابس «**أراجوزية**» ومجموعة من سلاسل وجنازير لا تضاهي سوى قيود آكلي لحوم البشر أو مصاصي الدماء حين يتم القبض عليهم ووضعهم في سجون المجهول في القلعة المسحورة.

تتراقص على أنغام النشاز وتتلوى كمن أصابه عسر الهضم من تأثير تناوله «**كوع**» ماسورة صرف صحي عن طريق الخطأ!

وتغيرت أيضًا مع ما تغير وتبدل من كلماتنا الرشيقة المهذبة من صباح الخير يا مدام وكتر خيرك يا أستاذ..

إلى تركيبات لغوية «**فرانكونيه خواجاتيه**» من عينة «**أوه ماي جاد**» و«**بيس يا مان**» إلى العديد من مصطلحات «**تحت بير السلم**» من أمثلة «**ما تحورش عليا**» و«**خلصانة بشياكة يا فتاكة**»، حتى لم نعد نفهم ما نقول وأصبحنا فجأة كمسافر وصل حديثًا إلى بلاد «**الواك واك**».

لا نفهم شيئًا مما يقال حولنا...

وكما أصبح العُرف السائد هو إلقاء القمامة في الشوارع والطرقات، أصبح أيضًا العُرف السائد هو تقاذف بعضنا بعضًا بكل أنواع القمامة المادية والمعنوية واللفظية، وانتشرت القمامة لتشمل كل نواحي حياتنا من كلامنا إلى ما يدخل آذاننا في الطرقات، إلى ما نطالعه على قنوات التلفاز والإنترنت وصفحات الانقطاع الاجتماعي عن بعضنا (**أقصد التواصل**) إلى شخصياتنا وأفكارنا وتوجهاتنا...

وفجأة وجدت نفسي أتغير، أصبحت أكثر استفزازًا وعصبية بمرور الأيام، وتزاحمت الأصوات والتصرفات في رأسي كل يوم كالأجراس تدق في عنف بإيقاع صاخب مُستفز مع كل موقف جديد وصوت جديد.

ووجدت نفسي أميل للعنف في أغلب الأحيان على غير طبيعتي!

أريد أن أفتعل المشكلات كل لحظة، لعله إسقاط نفسي، لعلني أريد أن أتعارك وأضرب الفوضى في صورة رجل أو امرأة...

لم أعد أفرق حتى بين القواعد والتقاليد التي تمنعني من ضرب النساء، حدث لي ذلك في تعاملي مع مدام عفاف موظفة الشهر العقاري وهي تتناول إفطارها وكوب الشاي على مكتبها في ساعة كاملة وتروي لزميلاتها عن نوع «**طشط الغسيل والمشابك**» التي اختارتهم وهي تشتري «**جهاز بنتها**»، وعن خبرتها العظيمة وحنكتها في «**الفصال**» ونجاحها الباهر في شرائهم بخمسة عشر جنيهًا من أصل ثلاثمائة، وهي تتعجب من ضيق صدرالمواطنين المنتظرين نهاية الحكاية وكوب الشاي والسندوتشات!

وحدث لي أيضًا ذلك مع مدام إحسان في مصلحة الضرائب وهي تحكي لصديقتها على الهاتف الحلم الذي حلمته أمس وتتناقش معها في تفسيرات ابن سيرين تفصيليًّا عن معنى ارتدائها «**بردعة حصان**» في الحلم وأنا أنتظر أمامها في الطابور من قبل أن تخلد إلى النوم من الأساس، وحدث لي هذا أيضًا مع كل مدام تبرع في تقمص شخصية «**ثلاجه فريجيدير**» وتدير لي ظهرها أثناء عبورها الشارع فجأة من أمام سيارتي وأنا أحاول الضغط على المكابح و«**الكلاكس**» في آن واحد بكل قوة وعيناي تتابع في المرآة «**اللوري**» القادم من الخلف ليدهسني أنا وهي على السواء...

أما عن الرجال فحدث ولا حرج...

وددت لو هشمت مفتاحًا إنجليزيًّا على رأس سائق التاكسي الذي لا يستوعب أن تهدئة السرعة للسيارة التي تسير أمامه لا يعني بالضرورة أن يقطع علي طريقي حتى أجد نفسي فوق الرصيف المجاور، ولا يعنيه شيء سوى أن يقتنص غنيمته من الشوارع حتى لو كان يقف في منتصف الطريق أو يجوب الطريق يمينًا ويسارًا كأنما يقود ثعبانًا.

ووددت لو «**كرمشت**» وجه كل موظف مرتشٍ يرسلك في رحلة البحث عن توقيع سيد أفندي الذي فارق الحياة في الخمسينيات من القرن الماضي لأنك لم «**تكرمش**» له خمسين جنيهًا.

وفي النهاية وقبل أن تصل بي حالتي تلك إلى التهور وينتهي بي الحال في «**التخشيبة**»...

قررت أن أستبدل استخدام يدي في التعارك والضرب و«**الخربشة**» إلى أن أستخدمها في الكتابة بالاستعانه بقلم وبضع أوراق...

وكان هذا الكتاب...

تذكرت وأنا أشرع في كتابته شخصية العمدة سليمان غانم وهو يقول من الغيظ: جاااااااااي.

ولأنني شعرت بتلك الكلمة دائمًا في مواقف كثيرة من حياتي مررت بها أو شاهدتها وكنت في كل مرة من المرات أمسك رأسي الذي يكاد ينفجر من الغيظ وأقول: آه يا نافوخي!

وهذا الكتاب هو في الحقيقة صرخة من عينة (**آه يا نافوخي**) من العشوائية والتخبط والثقافات الدخيلة والنشاز في حياتنا..

ومحاولة لرسم بسمة ساخرة على وجهنا من تلك الأوضاع التي تخللت حياتنا، مجموعة من المقالات وبعض القصص القصيرة الساخرة من واقع حياتنا الأكثر سخرية...

لعلنا نحارب الجهل والعشوائية بتلك الابتسامة.

صورة البطاقة!

أحد الموروثات الشعبية في حياتنا، والتي ظلت راسخة في أذهان موظفي المصالح الحكومية لعقود طويلة هي (**صورة البطاقة**)!

تلك التعويذة السحرية التي لا تؤثر فيها كل الطلاسم وحفلات الزار ورجل الأرنب ولا «**الحمامة البيضا المشقشقة**».

ولا أضعف موقفها يومًا تحول ثقافة العمل بالدفتر حرف ز و«**شانون الأرشيف**» إلى أجهزة كمبيوتر وأنظمة حديثة وشبكات ربط وإنترنت.

وظلت «**صورة البطاقة**» كمطلب جماهيري في كل المصالح الحكومية تحتفظ بمكانتها كإحدى وسائل تعذيب المواطن في البحث عن مكتبة أو «**كشك**» تصوير مستندات ثم البحث عن «**فكة للعشرة جنيه**».

وقد يعود ذلك إلى موروثاتنا الشعبية القديمة والمتوارثة من عصر الفراعنة، فلو كنت دقيق الملاحظة في مشاهدتك لتمثال الكاتب المصري الشهير، كنت ستلحظ جلوسه القرفصاء ووضعه الكتاب على قدميه، ذلك الكتاب كان قد استعاره من

مكتبة آمون، بعد أن وقَّع في الدفتر وترك لأمين المكتبة (**صورة بطاقة**)! حتى جميع المعابد الفرعونية لو كنت دقيق الملاحظة أيضًا كنت لا بد ستلحظ كل الرسومات والنقوش على الجدران، ولكنك بالطبع كأي مواطن طبيعي لا تتوفر لديه الثقافة التاريخية، لم تكن لتعلم معاني تلك النقوش والرسومات، ولكنك إذا سألت أحد علماء الآثار لأخبرك على الفور أن تلك الرسومات هي في حقيقة الأمر مجموعة كبيرة من «**صور البطاقات الحجرية**». وإن ذلك المعبد العظيم كان في الأساس «**مكتب سجل مدني فرعوني**»!

وبالتأكيد سيخبرك عالم الآثار عن أصل هذه الثقافة الراسخة في القطاع الحكومي وتاريخها.

حين بدأت بأوامر الفرعون (**روت-إين**) من الأسرة السادسة، والذي تمت ترقيته درجة وظيفية بعد هذا الابتكار العظيم ليصبح من الأسرة الخامسة!

اخترع الفرعون (**روت-إين**) قانون الأحوال الفرعونية والذي تحول على مر الزمن إلى قانون الأحوال المدنية الحالي، وابتكر الفرعون حلًا لكل مشكلات المعاملات الحكومية بفكر تقدمي طليعي متطور يستطيع به التفرقة بين أفراد الشعب في المعاملات حتى لا يتكرر تقديم نفس الخدمة لنفس المواطن وبدون علم الحكومة.

ففرض قانون التمييز بين المواطنين عن طريق نحت تمثال لكل مواطن يحمله معه أينما ذهب إلى ديوان الحكومة، وقد أطلق الفرعون على هذا التمثال وقتها لقب هيروغليفي ليخلد

ذكرى هذا الابتكار العظيم بوصفه ثورة في العمل العام والنظام الحكومي، وكان اسم التمثال المبتكر هو (**صور - بيت - آكا**)، وفرض قانون الملك (**روت - إين**) على جميع الموظفين عدم التعامل مع المواطنين إلا بالقانون الجديد على أن يتم إرفاق التمثال (**صور - بيت - آكا**) مع ورق البردي المطلوب لكل خدمة!

بالإضافة إلى بردية عليها نقوش من موظفَين حكوميَين تثبت أن صاحب هذا التمثال (**صور - بيت - آكا**) هو نفسه المنحوت شخصيًّا وليس من يشبهه أو أخوه التوأم، أو كونه منتحلًا لصفة تمثال.

وبناءً عليه تم تشييد عدة مبانٍ عظيمة خلف كل مكتب سجل مدني فرعوني أطلق عليها اسم (**آر - سيف**)، وتعني مخزن التماثيل باللغة القبطية المسمارية القديمة. وقد كان، وطبق القانون لعدة الآف من السنين بهذه الطريقة التي تيسر على المواطنين القدماء أمور حياتهم وتنظم معاملاتهم..

وكان ذلك هو السبب الحقيقي في كل كميات التماثيل المدفونة تحت الرمال، والتي يتم العثور عليها في كل ربوع مصر...

هل كنت تعتقد أن ما نكتشفه كل يوم هو معابد ومقابر؟ أنت مخطئ تمامًا، أن ما يُكتشف يوميًّا ما هو إلا مخازن (**آر- سيف**) الحكومية للفراعنة!

ومع مرور الأيام وتعاقب الأجيال تطور لدينا مفهوم (**صورة البطاقة**)،

وظل قانون الفرعون (**روت - إين**) مطبقًا في كل مصالحنا الحكومية حتى تحول إلى ثقافة عامة في حياتنا.

فعلى سبيل المثال:

تذهب إلى مكتب البريد لعمل حوالة نقدية ترسلها إلى ابن عمك «**حسنين**» في أسيوط، ومع التطور المذهل في الخدمات أصبح من السهل عليك أن تضع نقودك في مكتب بريد «**البدرشين - جيزة**»، وبعدها بثوانٍ معدودة يظهر إيداعك على الشبكة العنكبوتية في مكتب بريد «**ديروط**» بمحافظة أسيوط، قمة في السهولة والتيسير على المواطنين.

وتقف فعلًا في الطابور بمنتهى الأدب والنظام حتى يأتي دورك فتخرج من جيبك النقود تعطيها للموظف المبتسم اللبق ليطلب منك الأخير بكل لطف (**صورة البطاقة**).

وتتساءل ما فائدتها، في حين أنك من تدفع وليس العكس، ثم إن الأمر كله قد تطور إلى جهاز كمبيوتر، فيعيد الموظف طلبه منك مع نفس الابتسامة (**صورة البطاقة**)، فيصيبك الاندهاش وتسأله بلطف: «**هل يريد المستر كمبيوتر التأكد من شخصيتي مثلًا؟**».

وللمرة الأخيرة وقد زالت الابتسامه يعيد عليك الطلب (**صورة البطاقة**)، فما يكون منك إلا أن تهم بالسؤال وتفتح فمك لتنطق، فيجيبك قبل أن تسأل: «**على أول الشارع «الكشك»** بيصور».

ومن دون أن يلتفت إليك ثانية ينظر للمواطن الذي يليك في الطابور ويعاود له تلك الابتسامة وهو يقول: (**صورة البطاقة**).

وتذهب أنت إلى أول الشارع وتقوم بالحصول على (**صورة البطاقة**) اللعينة وتعود لتبدأ الوقوف ثانية في الطابور، حتى يحين دورك وتودع الحوالة بعد إعطائه (**صورة البطاقة**).

ويستلمها منك الموظف صاحب الابتسامة ويلقيها بجانبه دون حتى أن ينظر فيها أو ينظر إلى وجهك ويكمل الخطوات على جهاز الكمبيوتر وهو يكمل أكل «**سندوتش الطعمية**» في يده وهو «**ملفوف**» بعدة ورقات تظهر من تأثير بقع الزيت عليها صور بطاقات لعدة مواطنين، حتى نقطة «**الطحينة**» التي انزلقت دون قصده على «**الكيبورد**» فإنه يتداركها جيدًا بأن يقوم بمسحها ببعض صور البطاقات الأخرى!

وأخيرًا، يتم إرسال الحوالة لتخرج من المكتب سعيدًا وتتصل فورًا بحسنين في أسيوط حتى تبلغه بالخبر السعيد ليذهب ويستلم النقود المرسلة إليه.

ويذهب حسنين فورًا ليقف في الطابور، وحين يصل إلى الشباك بعد عناء شديد يبتسم له الموظف في مكتب ديروط ويطلب منه باللهجة الصعيدية (**صورة البطاجة**)...

والأمر لن يختلف كثيرًا في الإسكندرية أو مرسى مطروح وحتى حلايب وشلاتين، فطالما كانت حدود الدولة الفرعونية التي ورثنا عنها هذا القانون المرير تبدأ من منابع النيل جنوبًا.

حتى إنك إن ذهبت إلى مكتب سجل مدني الخرطوم في السودان لوجدت من يبتسم في وجهك وهو يقول لك: (**صورة بتاكة يا زول**).

والحقيقة أن الأمر قد تحول عند البعض لحالة صعبة جدًّا..

فعلى سبيل المثال:

جارنا الأستاذ التابعي أفندي الموظف بمصلحة التأمينات والمعاشات قد رزقه الله بتوأم، طفلتين في غاية الرقة والجمال، فما كان من الأستاذ تابعي سوى أن أطلق على الأولى اسم (**صورة**) والثانية (**بطاقة**)!

أما جاري العزيز الأستاذ فرج الموظف بمديرية التربية والتعليم فقد أصيب بمرض نفسي شديد ذات يوم وأصابته بعض الهلاوس وظل يتخيل أن بطاقة مواطن متوحشة تطارده في كل مكان وهي تحمل ماكينة تصوير مستندات وتحاول أن تجعل من الأستاذ فرج (**صورة**).

وانتهى به الحال بأن أُودع المسكين في مستشفى العباسية في عنبر ٩ في قسم أمراض (**صور البطاقوليا**).

أما مدام عصمت جارتنا الموظفة بإدارة التأهيل المهني فقد طلبت الطلاق من زوجها الأستاذ الطيب أفندي لمجرد أن تجرأ وأحضر لها في عيد زواجهم باقة من الورد، ولكنها أصرت كأي موظفة متفانية في التمسك بالقانون الوظيفي، أن يُرفق مع باقة الورد (**صورة بطاقة**) كل الذين ساهموا في زراعة وري وقطف وتغليف بوكيه الورد!

فما كان من المسكين غير أن قذف بالورد من النافذة، لينكسر قلب مدام عصمت وتتأكد من عدم حبه لها وتطلب الطلاق!

والصراحة هي أن موضوع (**صورة البطاقة**) في حياتنا هو موضوع كبير جدًّا وليس بالسهولة التي نراها بيننا.

فالحقيقة وبدون أي سخرية إن صورة البطاقة قد تطورت في حياتنا لتصبح «**أكل عيش**»، أقسم لك أنني لا أبالغ، البعض قد جعلها وسيلة لجلب رزقه، فستجد بدون مبالغة بجوار كل مصلحة حكومية «**كشكًا**» لتصوير المستندات، وكل رأسمال هذا المشروع هو ماكينة تصوير وورق A4 ومسطرة، وبعض اللبان والكبريت «**لزوم الفكة**».

حتى ذلك المشروع ولسخرية الأحداث وجد من يقوم على التربح منه، فظهر من يعمل بتأجير ماكينات التصوير لأصحاب «**الأكشاك**»، **وصيانة ماكينات التصوير المتنقل بموتوسيكل بين «الأكشاك»** ومندوب بيع الورق المتنقل بين «**الأكشاك**» أيضًا، بل وتولدت وظيفة للشاب أو الفتاة التي ستعمل في «**الكشك**».

وتخيل معي مثلًا أن يطلب يد ابنتك شاب فتسأله: «**بتشتغل إيه يا بني؟**»،

فيخبرك بكل فخر: «**صورة بطاقة يا عمي**».

بل وللسخرية المريرة أن قامت أنواع أخرى من التجارة اعتمادًا على هذا «**الكشك**»!

فبجوار «**كشك**» تصوير المستندات والذي هو في الأساس بجوار المصلحة الحكومية، وقف رجل يبيع المناديل للمواطنين المتوافدين على «**الكشك**»، ووقف آخر يبيع السجائر لرواد

«**الكشك**»، وآخر لكروت الشحن، ورابع يتسول من رواد «**الكشك**» جنيهات معدنية «**فكة**» من تلك التي حصلوا عليها من «**الكشك**»

بل يزداد الأمر إلى أن يقام «**كشكًا**» آخر للسندوتشات السريعة اعتمادًا على زبائن «**الكشك**»!

وحين يوجد «**كشك**» السندوتشات، سيوجد بجواره «**كشك**» جديد للمشروبات المثلجة «**لزوم هضم السندوتشات**» التي يأكلها في الأساس رواد «**الكشك**»،

وفي خلال عدة أيام يتحول هذا التجمع الظريف من «**الأكشاك**» إلى سوق صغير بإضافة بعض «**الفرش**» على الأرض هنا وهناك بداية من النعناع الأخضر والليمون إلى الكوسة والطماطم والبطيخ والجوافة، وحتى «**الأمشاط والفلايات...**».

وما يلبث أن يصبح ملتقى مدام إحسان ومدام عفاف ومدام كوثر في نهاية يوم العمل لشراء طلبات البيت...

وليس ببعيد أن يتجمع بجواره بعض سيارات الأجرة لخطف الركاب من التجمع الكبير، ويومًا بعد يوم يتحول إلى «**موقف**» ويجلب معه البعض لشغل وظائف «**السايس**» و«**المنادي**» و«**التباع**» وغاسلي السيارات بجرادلهم و«**الفوطة الزفرة**».

يمكنني التوقف عن السرد الآن حتى أترك الساحة لخيالك الخصب في تخيل باقي المشهد وإكمال القصة...

فإني للأسف متورط في معضلة كبيرة جدًّا.

موعدي باكر في مصلحة السجل المدني لاستخراج بدل فاقد لبطاقتي الشخصية، لأنني قد فقدتها منذ أيام، ومنذ ساعات وأنا أجلس ويقتلني التفكير، ماذا سأفعل وبماذا أجيب على موظف السجل المدني حينما أطلب استخراج بدلًا للبطاقة التي فقدتها بينما لن يستخرجها لي إلا بعد أن أعطيه
صورة البطاقة!!!

يعني هيَّ جَت عليا؟

أشرقت شمس الصباح في يوم جميل من أيام الربيع، وتعالت أصوات زقزقة العصافير المبتهجة بألوان الزهور وعبير الياسمين، واستيقظ الأستاذ مُصلح كعادته في السابعة صباحًا بنشاط وحيوية.

ذهب إلى الحمام وغسل وجهه وأسنانه وتوضأ لصلاة الصبح وسط نشاط أولاده في ارتداء ملابس المدرسة وتحضير جدول الحصص.

وتناول كوب القهوة كالعادة على عجل وارتدى ملابسه سريعًا وبعد توديع زوجته خرج وبدأ رحلة يومه كالعادة.

نزل على السلالم يحمل في يده كيس القمامة في طريقه إلى العمل وبخطوات رشيقة أكمل نزول السلم ووصل إلى الشارع واتجه نحو سيارته ليركبها، فتفاجأ بقشرة موز وقعت من إحدى بلكونات العمارة على زجاج سيارته.

نظر بامتعاض إلى الأعلى وعينه تحاول القبض على أي مجرم يصادف حظه الوقوف في أي بلكونة من بلكونات العمارة المشتبه بها.

لكنه لم يجد أحدًا، فتمتم ببعض عبارات السخط على سلوك الجيران، وأمسك بقشرة الموز من على زجاج السيارة في يده.

خطر على باله أن يضعها في كيس القمامة الذي يحمله، لكن نظر إليه فوجده مقفلًا بإحكام.

استغرق الأمر لحظة حتى قرر عدم محاولة فتح الكيس حتى لا تتسخ ملابسه عن طريق الخطأ.

وما لبث أن قذف بقشرة الموز في الشارع وهو يقول: «**ما الشارع مليان زبالة، يعني هي جت عليا؟**».

وفتح باب سيارته وهم بالركوب ولكنه نظر إلى كيس القمامة وخشي أن يترك أي رائحة أو أثر على كراسي السيارة إن وضعه بداخلها.

فكر قليلًا وفي النهاية قرر وضعه على شنطة السيارة حتى يصل إلى مكان مقلب القمامة.

أدار محرك السيارة وكالعادة أشعل سيجارة وانتظر قليلًا حتى تسخن السيارة، وبعد دقيقة كان قد أنهى تسخين السيارة وأنهى السيجارة،

فقذفها في الشارع وهو يقول بلسان حاله: «**يعني هي جت عليا؟**».

وانطلق في طريقه كالمعتاد.

ولأن الملف الذي يستطيع منه الدوران للاتجاه الصحيح لطريق عمله بعيد قليلًا في أول الشارع، فقد قرر صاحبنا أن يختصر الطريق.

بضعة أمتار فقط يسير فيها عكس الاتجاه... مجرد نصاحة وفهلوة.

وفي طريقه العكسي السريع نظر في المرآة ليتابع الطريق، فتفاجأ بأن كيس القمامة قد تمزع من الهواء وبدأ في نثر محتوياته.

هم بالتوقف ولكن التوقف في طريق عكسي كان أمرًا صعبًا، فما كان منه إلا أن قال: «**دول شوية زبالة طاروا، يعني هي جت عليا؟**».

واستمر في السير حتى وصل إلى مكان في الشارع وجد فيه بعض القمامة متجمعة على هيئة كومة بجانب الطريق بعشوائية، فتوقف سريعًا ونزل بسرعة خاطفة وترك كيس القمامة بجانب الكومة.

في أثناء مرور سيدة كبيرة في السن لم يعجبها الموقف، فاستوقفته وقالت له: «**ليه بس كدا يا بني؟ هو الشارع ناقص؟**».

فما كان منه غير أنه رد عليها بكل لطف وأدب: «**معلش يا أمي، ما أنتِ شايفة الكوم اهو يعني، يعني هي جت عليا؟**».

ولم ينتظر الرد وانطلق سريعًا في طريقه العكسي حتى وصل أخيرًا إلى مدخل الشارع الرئيسي وتفاجأ بوجود كمين للشرطة على نهاية طريقه العكسي، حاول الرجوع سريعًا للخلف ليتفادى الوقوع

في الكمين، لكن لم يستطع، فقد كان خلفه بعض السيارات تحذو حذوه، وأخيرًا امتثل للأمر الواقع.

فتح نافذة السيارة وأخرج رخصة القيادة وأعطاها للضابط وهو يقول: «**معلش بقى يا باشا، ما أنت شايف كل العربيات اللي ورايا دي جاية عكسي، يعني هي جت عليا؟!**».

وبعد تحرير المخالفة وسماع الكلمتين.

استكمل السير في الطريق الصحيح.

لكنه بعد توقفه في الكمين والعطلة تأخر قليلًا عن ميعاد عمله.

وحين وصل إلى دفتر التوقيع على الحضور استقبله زكي أفندي بابتسامة صفراء وهو يقول: «**تأخير نص ساعة يا أستاذ مُصلح..**».

فرد عليه: «**ظروف يا زكي أفندي زي كل الناس، يعني هي جت عليا؟!**».

وصعد إلى مكتبه وجلس أخيرًا بعد رحلة الصباح وقام بنداء خميس الساعي كالعادة ليحضر له كوب الشاي المعتاد، خمس دقائق وجاء خميس الساعي بصينية الشاي ووضع كوب الشاي على مكتب الأستاذ مُصلح الذي قال له:

«**بقولك إيه يا خميس، عاوز سندوتشين طعمية سخنة وسندوتش فول بالزبدة من المحل اللي قدام الشركة**».

ولكن خميس اعترض وأخبره أن المدير قد أصدر قرارًا بمنع تناول المأكولات في أوقات العمل.

وطبعًا لم يعجبه ذلك وقال: «**إيه التحكمات دي؟ ما كل الناس بتاكل سندوتشات في المكاتب، يعني هي جت عليا؟!**».

وتمتم ببعض عبارات الامتعاض من تسلطات المدير وغبائه وتحكمه في مصائر البلاد والعباد.

ولكن قبل أن يبدأ عمله كالمعتاد تذكر فجأه أنه لا بد أن ينهي التوكيل العام للمحامي في قضية الميراث اليوم، فالجلسة في اليوم التالي.

جلس قليلًا يفكر في طلب إذن قانوني عن العمل، ولكن تذكر أن المدير متسلط وغبي وبالتأكيد لن يوافق.

فكر قليلًا وقرر في داخل نفسه أن «**التزويغ**» لو توفرت فيه المهارة سينجح بكل تأكيد، وعلى كل حال أفضل من الإذن وخصم ساعات عمل.

فأخبر زميله ماهر أفندي أنه سيخرج سريعًا لبضع دقائق ليس إلا، وفي حالة سؤال المدير عنه عليه أن يخبره أنه في دورة المياه وعليه التغطية عليه إذا اكتشف المدير غيابه بهذه الحجة.

فما كان من ماهر أفندي المنضبط غير نصيحته لمُصلح أفندي وقال له:

«**أنا خايف عليك، لو المدير عرف حيديك جزا ولا خصم**».

رد عليه مصلح أفندي: «**ما كل الناس بتزوغ، يعني هي جت عليا؟!**».

وقد كان... وبخفة أقدام باليرينا في عرض بحيرة البجع تمكن صاحبنا من الوجود خارج الشركة بهدوء من باب الجراج الخلفي وبدون أن يشعر أحد، وعاد ليستقل سيارته حتى وصل إلى مكتب الشهر العقاري، ودخل من الباب ليتفاجأ بكل الزحام والطوابير التي لا تنتهي، فتصرف سريعًا بمنتهى الذكاء والعبقرية واخترق الصفوف وهو يقول: «**بعد إذنك يا أستاذ كتفك بس، أنا هقوله حاجه وأمشي**»!

حتى وصل أخيرًا إلى الشباك، وبحركة خاطفة سريعة كأنه بروسلي أو جاكي شان في أحد أفلام الأكشن!

وضع أوراقه أمام الموظف وعليها ورقة من فئة الخمسين جنيهًا.

وبنفس منطق الدوبلير في فيلم الأكشن خطف الموظف الأوراق والخمسين جنيهًا بحركة من حركات النينجا السريعة!

وتقريبًا لم يلحظ أحد...

إلا رجل عجوز ارتعشت قدماه من طول الانتظار في الطابور، فانزعج جدًّا وقال: «**إيه اللي بتعمله دا يا أستاذ؟ هو احنا مش عاجبينك؟! دا احنا واقفين بقالنا يجي أربع ساعات في الطابور**».

فرد عليه مُصلح: «**معلش يا حاج، أنا سايب شغلي ولازم أرجع بسرعة، وبعدين ما ناس كتير أهي مش واقفه في الدور، يعني هي جت عليا؟!**».

وبعد همهمات من الناس وتلقيح كلام و«**صاحبنا عامل مش واخد باله**». استلم التوكيل وخرج من الشهر العقاري وعاد بسلام

إلى باب الجراج، وبنفس الخفة والمهارة استطاع العودة إلى مكتبه في سلام وأمان «**ولا من شاف ولا من دري**»، ولكنه وجد في انتظاره خميس الساعي يخبره أن المدير سأل عليه أكثر من مرة، وكل مرة يخبرونه أنه في الحمام يزداد غيظه، حتى فقد المدير أعصابه وأخبره «**إنه يروح يجيبه في إيده ويجي**»، وذهب الأستاذ مصلح المسكين إلى مكتب المدير وهو ينتظر مصيره المجهول مع الوحش الكاسر.

طرق الباب حتى سمع: «**ادخل**».

فدخل بخطوات مرتعشه وانتظر السؤال:

ـ كنت فين؟

ـ في الحمام والله العظيم تلاتة يا رسمي بيه.

ـ كل دا في الحمام يا افندي؟ بقالك ٣ ساعات في الحمام؟

ـ مغص شديد جدًّا يا فندم، كل الناس بيجيلها مغص، يعني هي جت عليا؟

ـ أنت كمان ليك عين ترد؟ مش كفاية المصيبة اللي أنت عاملها؟

ـ مصيبة إيه يا رسمي بيه كفا الله الشر؟

ـ ملخبط الحسابات وغلطان غلطة ما يعملهاش عيل صغير، أنت عارف لو أنا ما اكتشفتش الغلطة دي كان زمانك خسرت الشركة مليون جنيه.

ـ إزاي بس يا فندم؟! على العموم حضرتك أكيد كلامك صح، جل من لا يسهو يا فندم وكل الناس بتغلط..... يعني هي جت عليا؟!

وهنا انفجر رسمي بيه في وجه الأستاذ مُصلح وتعالت صيحاته وجزاءاته وخصوماته مع صرخاته، ولم ينجِ مُصلح أفندي سوى الذبحة الصدرية التي كادت تفتك برسمي بيه لولا أن طرده من المكتب وابتلع حبوب القلب، وعاد مصلح أفندي إلى مكتبه يجر أذيال الخيبة، وشعر أن كل الأعين تنظر إليه بعد سماعهم صرخات المدير في وجهه.

فوقف بكل شموخ في وسط زملائه وهو يقول:

«إيه يا جماعة فيه إيه؟ دا كل الحكاية إني زودت صفرين زيادة في الحسبة، ما انتو كلكو بتغلطوا..... يعني هي جت عليا؟! وبعد تبرئة ساحته أمام زملائه...

عاد ليجلس على مكتبه فوجد التوكيل العام قد نسيه على سطح المكتب، وعلى الفور أخرج هاتفه المحمول من جيبه وطلب رقم المحامي ليخبره بأنه انتهى من عمل التوكيل.

ـ ألو.. أستاذ عبد الحق.. أنا خلصت التوكيل.

ـ أهلًا أستاذ مصلح.. كويس أوي ممكن تجيبهولي آخر النهار، بس لازم تعمل حسابك إنك تكون موجود في وقت حصر التركة اللي حتقيّمها اللجنة الأسبوع الجاي.

ـ أكون موجود إزاي يا أستاذ عبد الحق؟ دا الأرض المتنازع عليها دي في سوهاج، ابعت أي حد من عندك مكاني.
ـ ما ينفعش طبعًا، لازم أنت اللي تكون موجود علشان تدلهم على مكان الأرض بالتحديد، وإلا بعد كل دا عاوزنا نخسر القضية؟
ـ لأ نخسر إيه بس، طيب أمري إلى الله، وإمتى ميعاد اللجنة دا؟
ـ ما أنا بقول لحضرتك الأسبوع الجاي.
ـ أيوه، يوم إيه يعني في الأسبوع الجاي؟
ـ اعمل حسابك على الأسبوع كله يا أستاذ... اللجنة بتنزل معاها ملفات قضايا كتير وما اعرفش في أي يوم بالظبط حييجي الدور عليك، لازم تكون موجود الأسبوع كله.

أنهى الاستاذ مُصلح المكالمة و«**دماغه بتلف في الفضاء**». بكل تأكيد لن يستطيع طلب إجازه من المدير بعد كل ما حدث والجزاءات والخصومات، وحتى إجازته العارضة لن تمتد أبدًا لأسبوع.

وبعد تفكير عميق، أعمق كثيرًا من تفكير فلاسفة القرون الوسطى، وكوبين من الشاي وأربع فناجين قهوة وعلبتين سجائر لمعت في ذهنه فكرة عبقرية...

الإجازة لا بد أن تكون مرضية، حالة طارئة أو مرض مفاجئ لا يستطيع أحد أن يعترض عليه. «**هو دا الكلام**» قالها وهو يحدث نفسه قائلًا:

«**وبعدين ما هو كل الناس بتعمل كدا يعني في الزنقه.. يعني هي جت عليا؟!**».

وبسرعة كان قد أجرى اتصالًا هاتفيًّا بملاكه الحارس، الرجل المناسب.

اتفق مع الأستاذ ملاك جاره العزيز الذي يعمل في مستشفى التأمين الصحي على أن يقوما «**بفبركة**» الموضوع.

ورسموا الخطة على أن الاستاذ مُصلح يقوم بادعاء إصابته بمضاعفات ويتلوى من الألم ويتم تشخيص حالته بضرورة إجراء جراحة استئصال الزائدة الدودية فورًا.

طبعًا بعد أن وعده إن «**له الحلاوة لما القضية تعدي على خير**»، وأنه سيتكفل بكل مصروفات الرشاوي والتراضي والشاي والدخان لكل موظفي المستشفى والتمريض وخلافه....

وكان لابد «**علشان الحكاية تبقى متظبطة**» أن يدخل المستشفى يوم الخميس لاستقبال زيارات الزملاء في المستشفى حتى تكتمل اللعبة بجميع أبعادها، ولا يصبح هناك مجال للشك، ويصبح أمر الإجازة المرضية لا غبار عليه ولا يستطيع أحد رفضها، وحتى يستطيع السفر في اليوم التالي مطمئن البال.

«**كل شيء معمول حسابه**»..

ولو انكشف هذه المرة سيتحول الأمر إلى تحقيق أو رفد.

واتفق الأستاذ مصلح مع الأستاذ ملاك على كل شيء.

يذهب إلى المستشفى يوم الأربعاء في الليل وكأن الألم قد أصابه فجأة، يذهب إلى قسم الطوارئ حتى يتم حجزه، والأستاذ ملاك ينتظره ويتكفل بالموظف المسؤول عن الدخول من غمزه.

«**خمسين جنيه لزوم إسكات الضمير**».

وصباح اليوم التالي يدخل على السرير إلى غرفة التخدير وكأنه سيجري الجراحة حتى يتم تسجيل اسمه في الدفتر في غرفة العمليات، وبناء على هذا الدفتر يحصل على شهادة طبية من المستشفى تفيد بإجرائه للجراحة ويحصل على إجازة الأسبوع المطلوب، بل قد يمتد لشهر.

«**كله في السليم وبالقانون**» قالها الأستاذ ملاك، وأجابه مصلح أفندي: «**طب وإيه يعني لما آخد إجازه شهر؟ يعني هي جت عليا؟!**».

ثم يستكمل الأستاذ ملاك خطته بأن يخرج مصلح على سرير من غرفة العمليات إلى غرفته العادية وكأنه أجرى الجراحة، ويخضع للملاحظة وينتظر زيارات زملائه الموظفين يومي الخميس والجمعة.

ومن يوم السبت يستطيع السفر لمدة الأسبوع الذي يخطط له في سوهاج، كل شيء مدروس و«**خطة ما تخرش المياه**».

وجاء اليوم الموعود.. يوم الأربعاء.

أنهى الأستاذ مصلح جلسته على القهوة بعد المغرب مع الحاج عمارة صاحب البيت الذي يسكن فيه والذي كان يطلب الإيجار المتأخر لكن طبعًا مُصلح أفندي اعتذر وقال له: «**ما كل الناس بيحصلها ظروف وتتأخر يا حاج، يعني هي جت عليا؟!**».

وتوجه مُصلح أفندي إلى المستشفى، وعند البوابة وطبقًا للاتفاق والخطة المرسومة، تحول فجأة مصلح أفندي إلى تقمص شخصية يوسف بك وهبي.

وبدأ في المسرحية..... يا للهول... «**جنبي بيتقطع**»!

وكان في استقباله الأستاذ ملاك كالخطة، وبسرعه دخلا قسم الطوارئ واستقبله هناك الممرض المشترك في الخطة، وبعدما استلم «**المعلوم**»، أنهى له «**أورنيك**» الدخول بتوقيع طبيب النوبطجية.

وأخيرًا..

أصبح الأستاذ مصلح يرقد على سريره في غرفة رقم (**89**) منتظرًا إجراء العملية «**الأونطة**» كما الاتفاق.

وطبعًا أرسل الأستاذ مُصلح عدة رسائل من هاتفه لجميع الزملاء يخبرهم بحالته الطارئة ويطلب الإجازه المرضية إعتبارًا من باكر.

وسارت الخطة بمنتهى الدقة.

وفي اليوم التالي دخل الأستاذ مُصلح المسكين على سرير رقم (**89**) إلى غرفة التخدير كما هو مخطط لاستكمال تنفيذ الخطة ومعه الأستاذ ملاك والممرضة المشتركة في الخطة في انتظار

حضور أطباء التخدير والجراحين لأخذ توقيعهم على الدفتر وإثبات خضوع مصلح أفندي للجراحة....

ولكن كان قد حدث أمر بسيط لم يكن في الخطة ولم يلحظه أحد...

مجرد مسمار «**قلاووظ**» صغير جدًّا خرج من مكانه بفعل الاهتزازات أثناء نقل السرير على العجل، وكان هذا المسمار هو الذي يثبت الجزء العلوي من لوحة رقم السرير!

وبدون أن يشعر أحد انقلبت اللوحه لتصبح الـ 89 مقلوبة إلى 68...

تغيير بسيط جدًّا في مسار الخطة ولم ينتبه إليه أحد.

وفجأة!

حدث هرج ومرج في المستشفى...

جميع الممرضات تجري هنا وهناك، والأطباء تتعالى أصواتهم ومدير المستشفى وصل فجأة إلى غرفة التخدير ومعه الكثير من الأطباء وبعض الرجال يحملون كاميرات تصوير وكشافات إضاءة، ووصلت إلى الغرفه إحدى المذيعات المشهورات وأطقم تصوير.

وسرت همهمات بين الممرضات عن قرب وصول وزير الصحة!!!

نظر الأستاذ مصلح أفندي حوله وهو ممدد على السرير يبحث عن ملاك أفندي ولكنه لم يجده بالطبع، فقد تسلل سريعًا قبل أن يراه مدير المستشفى بعيدًا عن مكتبه.

وانقلبت الدنيا فجأة على رأس المسكين وهو لا يدري ما يفعل...

وقبل أن يفكر في أي حل، سمع صوتًا من بعيد ولكنه واضح وحاد وصارم....

«**يالا بسرعة، سيادة الوزير على وصول، حضروا المريض 68 للعملية**».

وطبعًا تنفس صاحبنا الصعداء لأن المطلوب مريض آخر.

وهو يعرف رقم غرفته وسريره جيدًا.

وبالتأكيد بمجرد خروج المريض الآخر «**المهم أوي دا**» سينتهي كل هذا الهرج والمرج ونعود لاستكمال الخطة، لكن قبل أن تكمل سعادته تفاجأ بممرضات لم يرهم من قبل ولا هم من المشتركين في الخطة من الأساس متوجهين ناحية سريره، ودكتور كبير ومعه بعض الأطباء الأصغر سنًّا يتحدثون ويراجعون أوراق تحاليل وأشعات وينظرون ناحيته ويشيرون إليه بطريقة غريبة.

نظر ناحيتهم وهم بسؤالهم عن سبب إشارتهم إليه، ولكن فجأة أحس بوخز إبرة في يده.

حاول أن يتكلم حتى يخبرهم أن ثمه خطأ وأنه بالتأكيد ليس المريض المقصود، فتح فمه ليتكلم، ولكنه لم يستطيع، لأن في نفس اللحظة كانت الممرضة الأخرى تضع على وجهه جهاز تنفس صناعي، حاول أن ينتفض من مكانه ولكنه لم يستطع.

حاول أن يرفع يده ليعترض، وبضعف شديد استطاع أن يرفع يده أخيرًا ولكنه رأى يده تهوي بجانبه في نفس التوقيت الذي كانت الدنيا تظلم في عينيه وصوت صفارة خافتة يدوي في أذنيه، وما لبث أن دخل في غيبوبة من تأثير المخدر....

أشرقت الشمس ثانية في يوم جميل آخر من أيام الربيع وزقزقت العصافير، لكن هذه المرة على أشجار حديقة المستشفى.

والأستاذ مُصلح يحاول فتح عينيه ولكن رأسه ثقيلًا ويشعر بصداع شديد ويحاول الاستيقاظ من النوم بصعوبة، وبدأ رويدًا رويدًا يتذكر ما حدث.

نظر حوله في الغرفه يتفحصها جيدًا وذاكرته تعود إليه قليلًا، تذكر المستشفى، والخطة، والإجازة و... ولكن ماذا حدث؟ لماذا أنا هنا ولماذا كنت مخدرًا؟ نظر حوله في الغرفة فوجد جرسًا...

ضغط عليه فدخلت الغرفة ممرضة بخطوات سريعة وعلى وجهها ابتسامة وقالت:

ـ حمد الله على السلامة يا مدام، العملية نجحت!!!

مُصلح أفندي:

ـ مدام إيه؟! أنتِ مجنونة يا ست أنتِ؟ أنا اسمي مُصلح.

الممرضة:

ـ دا كان زمان يا فندم، ألف مبروك يا مدام مصلحة.

بدون أن يفكر قام من على السرير وهو متأكد أنه بالتأكيد ما زال يحلم أو أصابته بعض التخاريف من المخدر، أو أن هذه الممرضة مجنونة.

قام بصعوبة وجسده كله يؤلمه ويترنح من تأثير المخدر وبخطوات متعثرة دخل حمام الغرفة ووقف أمام المرآة، نظر في المرآة وأصابه الذهول...

وجد «**شفايفه**» قد كبرت بشكل ملحوظ غريب وأُزيل شنبه وذقنه من الوجود نهائيًّا، وأصبح ملمس وجهه ناعمًا أملس! وتغيرت كل معالم جسمه، وظهرت عنده معالم جديدة غريبة جدًّا!!

ظل يتحرك يمينًا ويسارًا حتى يتأكد أن ما يراه في المرآة هو انعكاس صورته حقًّا وليست حلقة جديدة من برنامج «**الكاميرا الخفية**»، ولم يطل ذهوله حتى وقع على الأرض في غيبوبة جديدة...

في نفس اليوم الجميل والشمس التي أشرقت في نفس الصباح ونفس العصافير على نفس الشجر.. فتح عينيه ثانية لكنه في هذه المرة وجد أمامه ملاك أفندي.

قال له:

ـ يااااااه يا ملاك أفندي، أما أنا شفت حتة كابوس..

رد عليه ملاك بصوت خافت مرتعش:

ـ كابوس إيه؟

مصلح:

ـ حلمت إني صحيت لقيت نفسي واحدة ست، وتخيل طلعلي حاجات غريبه هنا..... وهنا.... وشفايفي كبرت... واااا ومش قادرة أكمل بقى... ما تكسفنيش يا راجل ... ما يصحش كدا إيه دا؟! إيه دا؟ هو صوتي ماله؟ هو أنا مالي بتكلم بمياصة كدا ليه؟ هو في إيه بالظبط؟

قام ملاك من جانبه وذهب بسرعة عند باب الغرفة ورد عليه:

ـ بصراحه بقى.... دا مش حلم!!! اللي حصل إن رقمك اتلخبط مع رقم مريض تاني، وكانت عملية تغيير..... من راجل لست..!!! وصورك ماليه الجرايد والفضائيات والعالم كله بيتكلم عن نجاح العملية، ألف مبروك ياعم، أنت كمان بقيت مشهور وسيرتك على كل لسان.

مصلح أو مصلحة:

ـ يا نهار اسود.. يا مصيبتي السودا... يا فضيحتي، الله يخرب بيتك يا ملاك.. مش كنا راسمين الخطة؟

ملاك:

ـ معلش بقا يا أستاذ مُصلح.. قصدي يا مدام مصلحة.. دي غلطة، وبعدين ما كل الناس بتغلط.. يعني هي جت عليا؟!

حمار واحد يكفي

في كثير من الأحيان لا يتطلب الأمر أكثر من حمار واحد فقط حتى تحدث المصيبة، وحتى لا يتسم الأمر بالوقاحة وبأسلوب غير مباشر ولكنه مقصود.

فإن عربة «**كارو**» يجرها حمار تسير في شارع عكس الاتجاه كفيلة بتوقف مرور الشارع بأكمله، وبازدحام الشارع وتوقفه سيتوقف الكوبري، وعند مطلع الكوبري سيتوقف الشارع الرئيسي، وبتوقف الشارع الرئيسي ستتوقف باقي الشوارع الفرعية.

ومئات بل آلاف السيارات تطلق أبواقها.....

وفي الحر الشديد سينهال العرق وتبدأ الامتعاضات وسرعان ما تتحول إلى السباب والشتائم.

البعض يتعامل مع الأمر بسخرية، والبعض يفقد أعصابه.

وبين الساخرين والشاخرين والنافخين غيظهم تبحث عن أصل المشكلة...

فتجد الحمار..... وهو حمار واحد فقط كما قلت لك!!

وليس كل حمار ينتمي إلى الفصيلة الخيلية.

بل ظهر في الآونة الأخيرة العديد من الحمير تنتمي إلى كل الفصائل، وحمير آخر موديل، وحمير ترتدي ربطات عنق!

وحمير تجلس على مكاتب!

وحمير تظهر على شاشات التلفاز!

وهم كالعادة الواحد منهم يكفي...

والواحد منهم يعادل ألف ألف حمار!

فمثلًا حمار يجلس على مكتب في مصلحة حكومية، كفيل بتوقف مصالح الناس وتعقيدهم في حياتهم ودنياهم وآخرتهم وإرسالهم في رحلة البحث والتنقيب عن ورقة البوسطة والختم...

وعن توقيع مصيلحي أفندي بعد الفحص والمراجعة من جعيدي أفندي.

وحمار على رأس المصلحة، كفيل بوضع قواعد إسطبلية حصاوية للعمل، تقتل الإبداع وتحول المؤسسة للعمل بنظام «**كرباج ورا يا اسطى**»، حيث ترفع كل أصناف آكلي البرسيم من ذوي الحظوة في المناصب والمراكز، وتدمر كل مسكين ذنبه في الحياة أن ليس له حدوة!!

وحمار يتحدث على شاشه تلفاز في برنامج تحليلي نهيقي بوصفه خبيرًا إسطراطينيًّا في أحد (**حقول**) العلم....

كفيل بتدمير وعى ورأي الملايين، وبتحويل جيل من الشباب المفتقر إلى الخبرة إلى مجموعة رفاسين ونطاحين يملؤوهم الحماس.

وحمار واحد أيضًا يُتحفنا في منشور فيسبوكي أو تنهيقة تويتية هاشتاجية بمعلومات جهبذية وتحليلات جهنمية، وينشرها عنه ملايين حتى يكاد التليفون يغير صوت تنبيه الرسالة من مجرد (**تيت**) إلى نغمة (**عاااا**)!

ويتحول الواقع الافتراضي إلى واقع زرايبي.

وللأسف الشديد...

فإن انتشار وتوغل الحمير في حياتنا في ظل السماوات المفتوحة والإنترنت والفضائيات، قد حول حياتنا إلى زريبة كبيرة، أصبح فيها الرفس أسلوب حياة!

وقد أدى قانون الطبيعة التناسلي التكاثري إلى ازدهار وتكاثر الفصيلة الحميرية في مختلف نواحي حياتنا، فأصبح الحمار الواحد والذي فيه الكفاية، آلاف الحمير.

وأدى سهولة التعامل مع الشاشات الصغيرة والكبيرة باللمس إلى ارتفاع صوت النهيق الإليكتروني، فأصبحتَ بمجرد لمسة بسيطة للشاشة على مفتاح «**انشر**» مروجًا لآراء الحمير ولفلسفة الإسطبل...

ومساعدًا على انتشار ثقافة النطح.

حتى إنه يتم دراسه إضافه تعديل جديد في مواقع التواصل الاجتماعي بإضافه أداه تحكم جديده على غرار «**أنشر**» يتم التعامل بها في حالات النهيق الإليكتروني وذلك بإضافه زر «**إرفس**»!!

وتعديل الإبتسامات الضاحكه «**الإيموجي**» إلى صوره بغل ضاحك

وبلمسة وأخرى قد يلاحظ عليك البعض أعراض غريبه جدا قد لا تراها أنت في نفسك.

فيصيبك دون أن تشعر داء الرفس في النقاش!!!

وداء علامة الاستفهام الكبيرة التي تظهر فوق رأسك في الفضاء أثناء تلقي معلومات مختلفة ومنطقية!!

وتتطور أعراض المرض لتدخل مرحلة الصدمة وفتح الحنك ببلاهة.

وقد رصد الأطباء لهذه العدوى عدة أشكال.

وبعد عدة دراسات وأبحاث تم تحديد وتصنيف المرض وتسمية الحالات المختلفة في المراجع الطبية..

منها مثلًا ما أسموه «**متلازمة إستراتيجوجحش**».

وهو من أخطر الأنواع، وأعراضه تتلخص في أن تتحول من كونك مجرد نجار باب وشباك إلى أن تصيبك الهلاوس الإستراتيجية التخطيطية ويصيبك بعض التخيلات أثناء اليقظة، وفي حالة إهمالك في العلاج قد تظهر عليك أعراض الامتعاض والفهلوة ومصمصة الشفايف، مع فتاوى إستراتيجية عميقة في شتى مجالات إدارة الدولة العليا.

وغالبًا ما تبدأ تلك الحالة بعد صدمة شديدة بسور إحدى الجهات السيادية

أثناء سير المريض بجوار السور لأول مرة في حياته، حيث يصيب المريض مع الصدمة بعض من آثار الدهان الجيري للسور، وبعض الخرابيش مع الدوخة والغثيان من تأثير الصدمة، ويتزامن ذلك مع رؤية لافتة الجهة السيادية أثناء الترنح من تأثير الصدمة لترسخ في ذهنه صورة الكلام المكتوب على اللافتة، وتتشكل حينها في اللا وعي بعض الهلاوس السمعية والبصرية الإستراتيجية..

وغالبًا ما يفقد الوعي ليستفيق من الغيبوبة، وليس على لسانه كلمات سوى

«**أنا خبير**» و«**الخبير أنا**».

فإذا ما أراد الناس الاطمئنان عليه قالوا له: «**سلامتك ألف سلامة عامل إيه دلوقت؟**».

رد عليهم: «**أنا خبير والحمد لله، ما تقلقوش، خبير خبير**».

وإذا جلس على القهوة وجاء له القهوجي ليسأله: «**تشرب إيه يا أستاذ؟**»

يرد عليه: «**واحد إستراتيجي، والخبير برا**».

ويبدأ صاحبنا في رحلة البحث عن الفضائيات التي تستوعب كميات الفتاوى الإستراتيجية المتفجرة من «**نافوخه**» ليل نهار، والمريض في تلك الحاله غالبًا ما يختلط عليه الحابل بالنابل، والتكتيكي بالديناميكي، والتاريخ بالبطيخ، والجغرافيا بالمهلبية.

وهناك نوع آخر هو حالة الهلوسة (**بولوتيكا ـ شي ـ حاا**)!

وهو نوع ظهر حديثًا من حوالي عشر سنوات، تحديدًا بداية من عام ٢٠١١ وانتشر كثيرًا جدًّا في هذا العام وبعض الأعوام التي تلته، إلى أن خفت قليلًا أعراضه ولكنها تعود لتشتد في بعض المواسم الانتخابيه أو في التجمعات السياسية.

وتتلخص أعراض هذه الحاله في تربنة في «**النافوخ**» مع ارتفاع في طول الأذنين وحماقة عامة تصاحبها آلام في «**القفا**».

وتظهر على المريض أعراض ناشط سياسي، أو باللغة العامية «**أعراض عواطلي لا شغلة ولا شغلانة**».

ويصاحب الأعراض مجموعة من التركيبات والألفاظ الهرتلية العبيطة متداخلة مع بعض المسميات المتفزلكة التي غالبًا ما تنتهي بصوت آاااط، مثل بيروقراط وتكنوقراط وسلطة كرَّات..

وتستطيع ببساطة التعرف على المريض إذا جلست معه لمدة خمس دقائق واستدرجته في الحديث بفتح موضوع سهل وسلس مثل، على سبيل المثال:

(**البعد السياسي الأيدولوجي الطليعي المستنير في إطار المحددات البيروقراطية وتأثيرها على واقع المجتمع المتعطش لتجديد الوعي الجماهيري وتفعيل دور الشباب....**).

وما عليك سوى أن تتفوه بكلمة واحدة، وفي الثانية سيسارع بمقاطعتك ويبدأ في الإذاعة....

حيث تستطيع تركه يتحدث والذهاب إلى المصيف في مرسى مطروح لتعود بعد أسبوع فتجده ما زال يتحدث إليك بنفس الحماس.

وغالبًا ما يتجمع مرضى هذا النوع في مجموعات، مما – للأسف- يزيد من تأثير العدوى ويصبح تفشي المرض أكثر خطورة...

يطلق على هذه التجمعات المرضية غالبًا مسمى «**ائتلاف**» أو «**رابطة**»، وتنتشر أعراض الهلوسة بداخل تلك الائتلافات مع احتمال السقوط في فجوة زمنية من واقع افتراضي...

وقد تزداد مضاعفات المرض الجماعي الائتلافي حتى تتحول إلى مرحلة المؤتمرات والبيانات المناخوليا إلى مرحلة الهاشتاج!!!!

وهناك أيضًا من الأنواع الأقل خطرًا على الصحة العامة ما يسمى بـ «**الزريبو- سبورت**».

وهذا المرض غالبًا ما يصيب الرجال الذكور أكثر من النساء، ويصيب عادة الذين تتوفر لهم معلومات أولية تفيد بأن كرة القدم على شكل دائرة وليس مربعًا أو شبه منحرف!!

ويصاحب هذا المرض هذيان دائم وتشنجات وتضخم في عضلة السمانة، وحديث لا ينقطع عن أساليب الدفاع والهجوم واللعبة الحلوة، وعن فشل المدربين وهطل الفنيين وفساد الإداريين وهبل اللاعبين، وفي بعض الأحيان عن التدليك والعلاج الطبيعي للرباط الصليبي والترقوة، وعن فشل أساليب مراوغة السردباك ديفندر.

ويوضَع مرضى هذا النوع في عنابر العزل الخاصة، مما يطلق عليها «**استوديو تحليلي**»، ويتم علاجهم عن طريق أحدث التقنيات بابتكار طاولة مستطيلة خضراء اللون وعليها بعض المجسمات

والرموز التي تتيح للمريض تحريكها أثناء تقمص الشخصيات المختلفة وإطلاق الفتاوى التحليلية الهذيانية..

وسرد جميع الإثباتات عن أن الحكم «**قابض قرشين**»، وأن المريض في حياة أخرى في عوالم موازية كان «**أجدع حكم دورات رمضانية في الكيت كات**»، وعن أخطاء المدرب الفلاني الذي كان السبب دون شك في انهيار خط دفاع ماجينو الألماني الشهير في الحرب العالمية الأولى، وعن أساليب الهجوم التي أدت إلى الانتصار على الهكسوس وقت أن كان هو مدرب مركز شباب الخانكة في دوري المظاليم..

ولأن سرد جميع أصناف هذا الوباء الحميري المتفشي قد يطول ويصيبنا بالملل، سأكتفي بتلك الأنواع، ولكن أريد فقط أن أطمئن كل من ظهرت عليه أي أعراض سابق ذكرها، فمع تقدم الطب والعلم ظهرت الكثير من الأدوية الفعالة لتلك الحالات، مثل «**برسيمتين أقراص**» و«**برسيمالوز دهان موضعي للنافوخ**»، وأصبح العلاج متوفرًا بمنافذ البيع بجميع الإسطبلات!!!

كما يمكن قضاء فترة النقاهة في «**عربخانة الشفاء**».

ولكن.....

يظل العلاج الوحيد الفعال في ترك تلك الشاشات اللعينة وإجبارها على العودة لوظيفتها الأصلية التي تتلخص في كلمة واحدة .. ألو، وفي الحذر الشديد أثناء القراءة أو التصفح، فإن للناس آراء كثيرة وإفتاءات كثيرة، ومن تستمع له في أي حوار أو

نقاش لا تدري عنه شيئًا سواء كان عن مؤهلاته أو دراسته أو فهمه للموضوع الذي يتحدث عنه، ناهيك عن معرفة دوافعه وتوجهاته.... بل ومشكلاته النفسية!!

ليس كل رأي هو بالضرورة الصحيح، فالرأي الخاطئ لو ردده ألف حمار، سيظل خاطئًا، وستظل الحمير.... حميرًا.

احذر جيدًا وأنت تقرأ أو تطالع أو تستمع لرأي ما حتى وإن استحسنته أو أحسست بميل لتصديقه، أو حتى اقتنعت به تمامًا..

لا تنسَ أن مهارة النصاب المحتال هي إقناعك الشديد بأنه أعظم رجل أعمال وُجد على الأرض!

وكما هو الاحتيال على أموالك، الاحتيال على عقلك موجود في كل مكان، ومن السهولة أن تقع فيه لأنك لا تدفع شيئًا، ولا تفكر كثيرًا قبل الوقوع في الفخ...

احذر أن تترك عقلك لاتجاه واحد في الرأي...

ودائمًا لا تقبل المعلومة إلا بعد مراجعة مصادرها.

أنا نفسي خدعتك منذ قليل، عندما أخبرتك أن خط ماجينو الدفاعي الشهير ألماني، والحقيقة أنه فرنسي، وأن الجيش الألماني هو من اجتاحه.

هل فهمت قصدي الآن؟

للأمانة فقد خدعتك مرتين عندما أخبرتك أن خط ماجينو انهار في الحرب العالمية الأولى، والحقيقة أنها في الثانية!

هل صدقتني؟

ماذا لو كنت خدعتك ثانية وكان كلامي في أول الأمر هو الصحيح؟!

لا، هذا لم يحدث، ولكن لا تصدقني بعد أن كذبت مرة!

ابحث وتأكد أفضل...

واقرأ دائمًا عن الرأي الآخر، والرأي المغاير والمختلف، حتى ترى الصورة كاملة ومن مختلف الاتجاهات...

حينها، تستطيع الانتقاء والتفكير والمقارنة.

تستطيع المطالعة كثيرًا حتى تكوِّن رأيًا، ليس بالضرورة رأيًا واحدًا ولا مع تيار أو اتجاه واحد، فكل من كتب أو أفتى أو حلل أو وضع قاعدة كان له عقل يشبه عقلك تمامًا ولا يزيد عليه شيئًا.

ليس بالضرورة أن تصبح ليبراليًّا، أو ديمقراطيًّا، على طول الخط، تستطيع أن تكوِّن لنفسك منهجًا جديدًا مختلفًا تمامًا، ليس صعبًا أبدًا أن تصبح مفكرًا، إنها طبيعة البشر يا صديقي.

ربما بعد مئة سنة يطلقون اسمك على المنهج الذي ابتكرته، فإن الاشتراكية والرأسمالية والشيوعية والماركسية نتاج عقول بشر مثل عقلك تمامًا...

ولكن احذر حين تقرأ العديد من الكتب والكثير من المقالات، من كتاب أو مقال كتبه أحد الحمير الذين تحدثنا عنهم...

وللحرص الشديد لا تقرأ هذا الكتاب!

فكما قلت لك: إن حمارًا واحدًا يكفي!!

فوطة زِفرة

لا أعتقد أنها تحتاج إلى توضيح...

هي مجرد «**فوطة**» كانت قديمًا محتفظة بحالها وبمكانتها الطبيعية كأي فوطة صفراء أو برتقالية اللون وتصلح لجميع الاستخدامات.

ولكن «**واحد ابن حلال**» أوصلها لمرحلة التشبع من زيت عربيات محروق إلى هباب كاوتشات وتيل فرامل إلى تراب السنين وحتى تلميع الأحذية.

وانقلب حالها من فوطة إلى ما يسمى «**خُرقة**»، وهذا طبع الزمن.

ما يهمنا في الحكايه بعيدًا عن الدراما والبُكا على حالها هو هذا البني آدم الذي يستخدمها بصفتها تسليحه الشخصي في معركة الشوارع وإشارات المرور!!!

وفي الحقيقة دائمًا ما يختلف الناس في وصف هذه الوظيفة.

تقدر تقول وظيفة «**سايس**»، وتقدر تقول متسول، وتقدر تقول متسكع، لكن الأسهل أن نطلق عليها وظيفة (**المراظياتي**)، على وزن الساعاتي أو القراداتي أو الصُرماتي.....

لأن في الحقيقة إن من يتقلد هذا المنصب يبرع في أمر واحد ويتقنه إلى حد الاحتراف، ألا وهو «**المراظية**».

وموهبته العظيمة إنه ازاي يقدر «**يراظي فيك**»!!!

فبمجرد أن يخونك حظك ويوقفك في إشارة مرور تجد الأرض انشقت فجأة كالمعجزة وظهر منها هذا الكائن المراظياتي.. وهو سريع كالنمر في مطاردة غزالة بريئة (**اللي هي عربيتك**). وبقلب أسد شجاع وهو يقتنص الغنيمة (**اللي هي عربيتك برضه**).

وبحركة بهلوانية محترفة كلاعب ترابيز في السيرك القومي «**يلطع**» الفوطة الزفرة على زجاج سيارتك، وبسحبة فنية وكأنه عازف كمنجة في الأوبرا...

وفي نفس اللحظة وبتناسق عضلي عصبي يحسده عليه أعتى أبطال رياضة الشيش، «**يلطع**» وجهه على النافذة الجانبية لسيارتك مطلقًا مجموعة من همهمات غير مفهومة...

أو غالبًا تكون مزيجًا من «**الصعبانيات**» عن اليتامى والأرامل وعمليات القلب والبواسير والمجاري الطافحة في البيت «**اللي من غير سقف في الخيمة بتاعت الإيواء بعد ما العمارة وقعت**»!

وبعد ما زجاج سيارتك يصبح بجميع ألوان الطيف بفعل «**السحبة**» العبقرية للفوطة عليه...

تجد نفسك بدون وعي وكأنك تحت تأثير التنويم المغناطيسي تمد يدك في جيبك بسرعة مخرجًا ما تجده من نقود وتعطيها له بابتسامه المهزوم الذليل أثناء استعطاف الظالم حتى يتركه يعيش، حتى تمنع هذا الوباء من استكمال تلطيخ باقي زجاج السيارة، وتشكره بمنتهى اللطف على جميل صنعه من لوحة فنية تضاهي الموناليزا على زجاج السيارة وتخبره أنك لم تكن لتتذوق الفن الراقي لولا مجهوداته الثمينة للبشرية والثقافة والفن...

وتمر الثواني في الإشارة... كما السنين حتى تنتهي قصة «**مراظياتي**» لتبدأ إشارة جديدة و«**مراظياتي**» جديد.

نوع تاني مختلف هو «**مراظياتية الركن**».

وهذا النوع يظهر كنتيجة طبيعية للترقي في المناصب والهيكل الوظيفي للشوارع وقوانين المراظية...

وهذا النوع لديه جميع أسرار عالم الركن المخفية وبدونهم نظام الكون يختل...

هل سألت نفسك مثلًا بدون فيض علم وفهلوة «**السايس**» كيف كنت تستطيع التخمين والاستبصار والاستشراق..

(**إنك تكسر عجلة يمين ولا تطلع عجلة قدام**)؟

هل تظن في نفسك «**والعياذ بالله**» القدرة على ركن سيارتك بنفسك؟!

الحقيقة الواضحة والصريحة والمحايدة أنك بدون الملاحظات العظيمة لجناب معالي فخامة السايس المراظياتي كنت ستظل حتى هذه اللحظة تدور حول الكرة الأرضية في دوائر مستمرة حتى ينتهي عمرك أو ينتهي العمر الافتراضي لمحرك سيارتك دون القدرة على إيقافها بجوار أي رصيف!!

لكن الحق يُقال، إن هذا النوع من المراظياتية يتميز بالأخلاق العالية والتحضر الشديد في التعامل، فهو يعلم جيدًا كأي إنسان متحضر أن لكل شخص مساحة من الحرية الشخصية والخصوصية يجب مراعاتها، فغالبًا ما يحترم خصوصيتك أثناء محاولاتك المستميتة في اقتناص مساحة لركن سيارتك بين مختلف السيارات المتوقفة بزوايا وأوضاع هندسية متوازية ومتوالية ومتداخلة كالثعبان المتلوي في جحر لولبي حلزوني، ومن مبدأ احترام الخصوصية، يتركك تمامًا لحريتك الشخصية، وكأنه لم يولَد من الأساس، أو كأنه يلعب دور الرجل الخفي في الفيلم الشهير....

ولن تجد له أثرًا من الأساس!

ولكن كعادة البشر، قد يصيبك الطمع والجحود، فبمجرد أن تهم بالخروج من مكان ركن سيارتك يظهر فجأة من العدم... وكأنه ساحر يخرج الأرنب من باقة ورد.

وعملًا بمبدأ أن حريتك تنتهي عند حرية الآخرين...

فأنت بهذا المبدأ تكون قد انتهكت منطقة خصوصيته ونفوذه في الشارع ولا بد أن تدفع الثمن!!!

لا أخفي عنك أنك في أغلب الأحيان لن تستطيع الفرار، فمن واقع خبرته في الحياة والشوارع قد أتقن العديد من تقنيات الوقوف في المكان المتميز كأي قناص في جيش روسيا العظمى في الحرب العالمية الثانية، ذلك المكان الذي يقيد حركتك دون أن «**تقب بالمعلوم**»، ولن تنجو غالبًا من «**لطخة فوطة زفرة**» على الزجاج كنوع من المجاملة الاجتماعية وكرم الأخلاق...

وأحيانًا تتخيل في نفسك النصاحة وتنطلق بالسيارة فجأة في غفلة من الزمن بطريقة أمريكاني خاطفة من أحد أفلام المطاردات والجاسوسية، ولأن كل الاحتمالات مدروسة ومقيدة في قانون الشوارع..

فالثمن الذي تدفعه في هذه الحالة هو قصيدة من السباب والشتائم تسمعها في خلفية صوت الموسيقى التي تعزف في راديو سيارتك...

مع وعد بأن في حالة رؤية سيارتك مرة أخرى سيتم التعامل وفقًا للقواعد المتبعة باستخدام مسمار في رسم لوحة فنية سيريالية على أجناب سيارتك.

والحقيقة أن قصص «**المراظياتية**» في الحياة لا تنتهي...

ولكنها في كثير من الأحوال تتلون وتتبدل وتتنكر في العديد من الشخصيات وباستخدام العديد من أصناف «**الفوط الزفرة**» في حياتنا، لن تجدها فقط في الشارع، ستجدها في كل مكان...

تستطيع ببساطة أن تبحث في حياتك وستجد الكثير من الأشخاص الذين لن تختلف وظيفتهم كثيرًا عن وظيفة مراظياتي الشارع أحيانًا باستخدام «**فوطة زفرة**»، وأحيانًا باستخدام كل شيء «**زفر**»، وكما كان السايس «**يلطع**» الفوطة على زجاج سيارتك، ستجد في حياتك من «**يلطع**» الفوطة على وجهك، على سمعتك، على راحتك، على خصوصيتك، على كل حياتك.

ستجد الكثيرين من هذا النوع حولك، من يقتحم حياتك بمشكلاته وصعوبات حياته وطاقته السلبية ويلقيها عليك، ومن يقتحم حياتك ويدنسها بأخلاقه وطباعه السيئة، ومن يقتحمها حتى بأسلوب حديثه وألفاظه السوقية المتدنية، أو بأصدقائه ومعارفه المفروضين عليك، أو بتطفله على خصوصياتك وبأسئلته الفجَّة....

وصدقني ستشعر غالبًا بإحساس أسوأ كثيرًا من ذلك الذي أحسسته في إشارة المرور، لكن الحل لن يكون في مجرد بضعة جنيهات...

لا، أنت تدفع أيضًا.....

ولكن من مشاعرك ومن وقتك ومن مجهودك ومن صفائك الذهني ومن روحك ومن مساحة خصوصيتك ومن طاقتك...

ومثلما النوع الأول عندما يتركك في إشارة المرور، يترك على زجاج سيارتك آثارًا زيتية واتساخات، كذلك النوع الثاني يترك آثارًا أسوأ على روحك وعلى أعصابك، يترك أثره على حياتك كلها، وتجد نفسك مجبرًا على تصرفات بعيدة تمامًا عن قناعاتك

وأخلاقك، ولكنك تفعلها بمبرر الخجل تارة وبمبرر الرغبة في الهرب من الإلحاح والتطفل تارة أخرى.

ويومًا بعد يوم تجد نفسك منجرفًا وراء تيار غريب عنك ولا تستسيغه أو تريده، بل ترفضه، ولكنك أصبحت كالأسير بداخله، تفعله كل يوم في تكرار بغيض لا تستطيع أن تمنع نفسك عنه، وقيود أسرك متعددة... الأدب وأخلاق التعامل والكرم وأغلب الأحيان العطف والشفقة...

في موقف مشابه كثيرًا لموقفك في إشارة المرور عندما كانت تضيء باللون الأحمر وأنت جالس في السيارة لا تملك إلا أن تشاهد زجاج سيارتك وهو يتلطخ، لا تستطيع سوى محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه ببضعة جنيهات.

الحل الوحيد مع النوع الأول من «**المراظياتي**» كان أن تخترق أو «**تكسر**» الإشارة وتنطلق بسيارتك مسرعًا بعيدًا عن الأذى، دون مراعاة لقانون المرور!!

وكذلك الحل مع النوع الثاني..

لا بد أن تكسر قيود كل ما تخيلته من أسباب تمنعك عن الابتعاد بنفسك عن كل متطفل على حياتك.... «**كل مراظياتي**».

أستطيع أن أدلك على حل جيد قد يساعدك من البداية عندما تجد أحدهم يقتحم عليك حياتك..

(**قل له: «لأ، كتر خيرك، معايا فوطة زِفرة»**).

السيستم واقع

مما لا شك فيه أن هذه الجملة مسؤولة عن رفع ضغط الدم لدى ملايين المواطنين، وإصابة بعضهم بالذبحات الصدرية وأمراض الشرايين، والشلل النصفي والجنون، على الرغم من بساطتها الشديدة، مجرد كلمتين «**السيستم واقع**».

وهذا «**السيستم**» هو ما أطلق حديثًا على أنظمة التشغيل الحديثة الذكية المترابطة مع بعضها بشبكة عنكبوتية تسمح بنقل المعلومات بين مختلف الأماكن بسرعة شديدة جدًّا.

وقد تم ابتكار هذا النظام غالبًا لتسهيل حياة الناس، ولتلافي حدوث كل ما ذكرته في الشطر الأول...

ولكن لم تأتِ الرياح بما تشتهي العصافير...

تحول هذا «**السيستم**» من وسيلة لتفريج الهموم إلى هم جديد.

في الماضي السعيد كنت تذهب إلى المصلحة الحكومية في بدايه النهار وأنت مفعم بالطاقة والحيوية وتبدأ رحلة صعود السلالم وأخذ مكانك في الطابور، ثم الحصول على أول توقيع من «**عليوة**

أفندي» في الدور التاسع، ومن ثم مراجعة «**شقيطة أفندي**» في الدور الأول.

ثم اعتماد «**مدام علوية**» في الدور السابع، وقبل الاعتماد تكتشف أنك نسيت وضع طابع «**الدمغة**» فتبحث عن الساعي (**الوكيل الحصري المعتمد لبيع الدمغة**)، فتجده في الدور الثاني.

تشتري منه طابع الدمغة بجنيه واحد ولا تجد ولا تسأل عن باقي العشرة جنيهات كما العادة، وإلا وقعت في المحظور.

ثم تعاود الصعود للدور السابع للاعتماد ثانية من «**مدام علوية**»، وبعد الاعتماد تذهب للدفع في الخزينة في الدور الأرضي، وتقف منتظرًا دورك حتى يحين دورك في تمام الساعة الثانية عشرة ظهرًا ودقيقة واحدة!

وتغلق الخزينة أبوابها مع الوعد باللقاء باكر في الصباح...

تعود إلى بيتك منهك القوى ولكنك سعيد ومبتهج جدًّا بانتصارك في الحصول على ثلاثة توقيعات دفعة واحدة في يوم واحد!

رقم قياسي حصلت عليه محطمًا رقم المواطن السابق الذي حقق توقيعين و«**جرة قلم**» في العام ١٩٧٩.

وفي اليوم التالي تعاود الكرة ولكن مع الحماس والإرادة وروحك المعنوية مرتفعة مما حققته من رقم قياسي بالأمس.

ومن الخامسة صباحًا تقف على شباك الخزينة تمسك القضبان الحديدية المدعم بها الشباك وكأنك في قفص الاتهام معترفًا بجريمة قتل.

حتى تدق الساعه الثامنة ويبدأ العمل، وأنت أول الواقفين، وسرعان ما تدفع الرسوم وتخطف في يدك الإيصال الأحمر بكل فخر وزهو وكأنه صك الغفران عنك، وتذهب لاستكمال الرحلة، وعلى أولى درجات السلم تجد «**زنفل الساعي**» (**وكيل طوابع الدمغة وسمسار ومخلصاتي**) وتسأله عن مكان مكتب الأستاذ «**حنبل أفندي**» وكيل المصلحة.

ويخبرك «**زنفل**» بأنه في الدور الخامس، تهرول على السلالم بخفة ورشاقة وكلك آمال عريضة وممسكًا بيديك ما حققته من انتصارات من التوقيعات الثلاثة والإيصال الأحمر، وتقف على باب «**حنبل أفندي**» وتعدل هندامك جيدًا وتطرق الباب لتسمع صوتًا يأذن لك بالدخول.

تدخل والابتسامة تملأ وجهك، وبعد صباح الخير تعرض عليه ما حققته من إنجازات منتظرًا منه توقيعه الكريم.

ويضع «**حنبل أفندي**» نظارته السميكة على عينيه ويبدأ في الفحص، وتمر بضع ساعات و«**حنبل أفندي**» يقارب على إنهاء أوراق «**كشكول ١٠٠ ورقة**» واستهلاك عدة أقلام حبر من الملحوظات الناقصة لاستكمال الطلب الخاص بك...

لن أطيل عليك...

بعد حوالي أربعة شهور تكون قد استكملت كل ملحوظات «**حنبل أفندي**»

وبقي توقيعه...

وفعلًا، وقع حنبل أفندي على الطلب، لتخرج من مكتبه وقد أصاب شعرك بعض الشيب وأصاب ظهرك بعض الانحناء ولكنك ما زلت تملك بعض الأمل...

أخيرًا ظفرت بتوقيع «**حنبل أفندي**»، وبكل ثقة تتوجه أخيرًا إلى مكتب «**الدكروري بيه**» مدير المصلحة للتوقيع النهائي واستكمال آخر خطوات إصدار أوراقك.

تجلس في مكتب السكرتارية لمدة حوالي ساعتين تطالع الجريدة بكل صبر ورحابة صدر، ويخبرك السكرتير أن الاجتماع لم ينتهِ بعد..

وبكل أدب وبابتسامة موظفين العلاقات العامة المعتادة ينصحك ألا تنتظر اليوم إمكانية المقابلة، لأن اليوم هو يوم اجتماع الجمعية العمومية والذي عادة ما يطول لساعات الليل.

وتقتنع بنصيحته، فقد فات الكثير وما تبقى سوى توقيع واحد ما الضرر من يوم آخر؟

تعود في اليوم التالي، تدخل على السكرتير ذي الابتسامة العريضة فيعتذر لك أن «**الدكروري بيه**» يعرض اليوم قرارات الجمعية العمومية على السيد وكيل الوزارة..

تعود في اليوم الذي يليه، تدخل ثانية على السكرتير، الابتسامة العريضة «**الدكروري بيه**» في مؤتمر مع السيد الوزير..

تعود في اليوم الذي يلي الذي يليه، الابتسامة العريضة، «**الدكروري بيه**» أضاء المصباح الأحمر؛ لا يمكن الدخول اليوم نهائيًا.

تعود في اليوم الذي يلي الذي يلي الذي يليه، ابتسامه عريضة، «**الدكروري بيه**» في مأمورية.

اليوم الذي يلي أيام كثيرة للذي يليه، ابتسامة عريضة، «**الدكروري بيه**» في إجازة المصيف مع أولاده.

بعد أسبوعين من اليوم الذي كان يلي الذي يليه، ابتسامة عريضة جدًّا، «**الدكروري بيه**» تم انتدابه للعمل في الوزارة لمدة ٣ أشهر!

بعد ٣ أشهر من اليوم الذي..... إلخ

ابتسامة عريضة، «**اتفضل ادخل، «دكروري بيه**» في انتظارك»!

تخرج من المكتب، ولكن السكرتير يجذبك من يدك وبابتسامة يقول لك:

ـ جرى إيه يا أستاذ؟ بقول لحضرتك اتفضل ادخل.

ـ هو حضرتك كنت بتتكلم جد؟

ـ طبعًا يا راجل، أنا عمري خدعتك؟!

لن أطيل عليك أيضًا..

لقد وقع على الأوراق «**الدكروري بيه**»!

الأمر كان في غاية البساطة، لم ينظر في الورق من الأساس، كان مشغولًا بالحديث في الهاتف ولم ينظر إليك، إن كنت أدخلت له عقد تنازل عن جميع ممتلكاته لصالحك لكان وقعه أيضًا...

بتلك البساطة...

وأخيرًا وبعد أن ضاع من عمرك عام كامل في المصلحة تخرج منتصرًا أخيرًا، حقًّا ما هُزم يومًا من رفض الاستسلام.

تذهب أخيرًا لتقدم أوراقك إلى الجهة المعنية وتقف أمام «**جعيدي أفندي**» ليتسلم منك أوراقك ويوقع لك بالاستلام.

يبتسم لك «**جعيدي أفندي**» ابتسامة أمل وطمأنينة ورفق بحالك وهو يقول لك:

ـ اسم حضرتك إيه بالكامل يا حسن أفندي؟

وتجيبه على الفور:

ـ حسن حسين حسان حسنين أبو المحاسن حسني.

ـ آه شفت بقى....

ـ شفت إيه بالظبط؟ مش فاهم

ـ مكتوب هنا يا أستاذ حسن إن اسمك حسن حسين حسان حسنين أبو المحاسن حـــني

ـ حسني يا أستاذ جعيدي مش حـــني، وبعدين دا جدي الخامس يعني.

ـ أنا مصدق حضرتك والله لكن يظهر إن الموظف اللي كتب الاسم، كتب حرف السين في حسني بالرقعة مش

بالنسخ، فأصبحت تحتمل النطقين، إما تكون حسني أو تكون حني بس ممطوطة حبتين.

ـ يا سيدي اشطب عليه خالص وريح نفسك وريحني.. هات كدا الورقة.... آهو، آديني شطبت عليه... تمام كدا؟

وهنا تتسع كثيرًا جدًّا ابتسامة «**جعيدي أفندي**» حتى يكاد وجهه يضيء من السعادة وهو يخبرك:

ـ وقعت في المحظور يا حسن أفندي... كدا أصبح بالمحرر الرسمي كشط وشطب وبناء عليه أصبح لاغي.... روح اعملنا واحد تاني .... يلا يا أستاذ خلينا نشوف اللي بعدك.

بالطبع كانت هذه قصة قصيرة هدفها أن أوضح لك أهمية ما كنا نتحدث عنه في الأساس، وهو «**السيستم**».

وللعبرة من هذه القصة التي تكررت آلاف المرات مع مواطنين من أمثال حسن أفندي «**رحمة الله عليه**»، والذي لم يتحمل قلبه فرط الدقة والتفاني الذي يتمتع به «**جعيدي أفندي**»

وأخيرًا... تم اختراع السيستم.

ومن أهداف هذا «**السيستم**» إنهاء كل تلك التفاصيل للأبد، وكل تلك التوقيعات والمراجعات والدمغات و«**زنفل ومدام علوية**»، وحتى «**ابتسامة سكرتير الدكروري بيه**».

ولكن «**الحلو ما يكملش**»، فبعد تفعيل العمل بنظام الشبكة العنكبوتية وأجهزة الحاسب الآلي، أصبح كل شيء «**ديجيتال**».

ومع «**السيستم**» و«**الديجيتال**» بدأ عصر جديد من «**الفهلوة الوظيفية**»،

فالأستاذ «**فهيم أفندي**» والذي تلقى تدريبه «**السيستماوي**» للتأهيل للعمل بالمنظومة الجديدة قد أصبح أكثر فهمًا ومفهومية من ذي قبل!

ولأن الأستاذ فهيم هو العلَّامة الجهبذ في أمور السيستم في المصلحه فقد تمكن من أخذ مكانته سريعًا بين الزملاء، والتي تظهر جلية في حصوله مثلًا على الكرسي الخرزان الوحيد في المصلحة الذي لا يخرج منه طرف مسمار «**ينتش**» البنطلون!!

وبصفته «**آينشتين**» المصلحة، فقد بدأ في استخدام مصطلحات غريبة في حديثه مع الزملاء، مثل أن يخبرهم عندما يصيبه الإرهاق بأنه يشعر بأنه «**مهنج**»، وعندما يجلسون ليتجاذبوا أطراف الحديث يروي لهم قصة زوجته التي هرولت إليه أمس وهي تصرخ ليذهب هو بشجاعة يتفحص ما الذي يخيفها، فيكتشف أن زوجته وجدت في المطبخ «**ماوس**»!

وهكذا من تغيير شخصية «**فهيم أفندي**» الذي بدأ يصيبه داء العظمة من تأثير حضوره للتدريب على «**السيستم**» ومعرفته إمكانية تشغيل وإغلاق جهاز الكمبيوتر، بل وإدخال بيانات المواطنين عليه أيضًا...

كان قديمًا يعمل الموظف من بداية العمل في الصباح وحتى موعد المغادرة، وإن كلَّ أو ملَّ لا يرحمه المواطن، حتى وإن رفض الموظف العمل بدعوى الإرهاق أو الإجهاد أو الصداع لا يرحمه أحد...

سيظل يُطلب منه العمل ما دام قد ظل جالسًا على مكتبه!

وإن امتنع عن العمل في التوقيتات الرسمية قد يتطور الأمر إما لتلقي جزاء تأديبي، أو خصم من الراتب من المدير، وإما لصفعه من مواطن فقد أعصابه.

أما بعد اختراع «**السيستم**»، فقد تقلص كثيرًا احتكاك الموظفين بالمواطنين فاقدي الأعصاب..

وبطبيعة الحال فقد تحول «**فهيم أفندي**» سريعًا ليصبح أهم موظف في المصلحة، أهم من المدير نفسه، بل تطور الأمر لأن يحاول المدير التقرب إلى «**فهيم أفندي**» بالعديد من الطرق المباشرة وغير المباشرة، وطبعًا لا يعود ذلك لوسامة ولا شياكة الأستاذ فهيم، وإنما يعود إلى دراية الأخير بتشغيل وإيقاف «**السيستم**»، حيث إن لهذا الشيء العصا السحرية والحل الجهنمي العبقري...

وأخيرًا تعمل الحكومة لصالح موظفيها، تعطي لهم الملعقة الذهبية..

والحكومة هي من وضعت الحل في أيدي الموظفين المساكين أخيرًا وأعطتهم مفتاح توفير الأوقات من ساعات العمل الرسمية التي تمكنهم كأي مواطن من شرب الشاي ولعب الطاولة وتناول السندوتشات وتبادل الحكايات و«**تقشير البسلة وتقوير المحاشي**».

والحل في يد «**فهيم أفندي**» وكل «**فهيم أفندي**» في كل مصلحة ما دام اتجاه جميع شاشات الكمبيوتر لجهة الموظف!

فالحل بسيط..

الحل هو كلمتان فقط: «**السيستم واقع**».

ولهذه الكلمات أثر عظيم في إخراس كل الألسنة فلا فرق وقتها بين مواطن وصل منذ لحظات ومواطن آخر يقف في الطابور من عصر الخديوي إسماعيل!

«**السيستم واقع**»! فماذا يفعل بنو البشر مع الآلات والشبكات؟

تستطيع المغادرة أو الانتظار إلى أجل غير معلوم.

والشيء الجيد في الأمر أن الموظفين يستطيعون الآن وبكل أريحية أن «**يفرشوا ورق جرايد**» على بلاط المصلحة ويتناولوا وجبة سمك مقلي أمامك وأنت تجلس تنتظر عودة «**السيستم**»، ولا تستطيع التفوه بكلمة عن توقيتات العمل أو الضمير...

ورحم الله حسن أفندي الذي لم يتحمل قلبه، كان مناضلًا كبيرًا، لو كان عاش ربما كان لقي حتفه بالانهيار العصبي وليس الذبحة!

مات حسن أفندي وعاشت الابتسامة العريضة الحكومية.

الغريب في الموضوع أنني لم أكن أعلم أبدًا إمكانية تطور الذكاء الاصطناعي لهذه الدرجة!

هل تتخيل أن الذكاء الاصطناعي قد وصل بإمكانية التطور والتعلم لأن يعمل «**السيستم**» نفسه بأسلوب «**الكرمشة**» الشهير؟

في بادئ الأمر لم أصدق، ولكن بالتجربة تيقنت من الأمر، ففي أغلب الأوقات تذهب إلى المصلحة ليستقبلك الموظف بالابتسامة الشهيرة والجملة الأكثر شهرة «**السيستم واقع**».

ولكنك بعد «**الكرمشة**» تفاجأ أن «**السيستم اشتغل**»!

وقد علمت هذا الأمر من مصدر موثوق جدًّا وهو:

«**فهيم أفندي**».

ميك آب

بالطبع أننا نتحدث عن الاسم «**الأفرنجي الشيك والكيوت**» لما كنا نعرفه في الماضي بمستحضرات التجميل، أو ما كانت تعرفه السيدات في زمن الشياكة الجميل باسم «**أحمر الخدود**»، ومع الزمن والتطور أصبح ما نعرفه اليوم باسم «**الميك آب**» هو باختصار شديد ما تستخدمه النساء عادة حتى تزددن (**جمالًا**)، فإذا ما غسلت وجهها اكتشفت أنها (**جمال ابن خالتك**).

وقد انتشر هذا الجمال (**ابن خالتك**) كثيرًا، بل تفوق على أعتى خبراء التنكر المخابراتي في روايات رجل المستحيل، وأصبح من السهل تحويل «**عطيات العرجة**» إلى ميرفت أمين.

وفي ظل بالوعة المستحضرات التجميلية التي انفجرت في وجوه جميلات العصر الحالي (**جمع جمال ابن خالتك**)، أصبحت أساليب ماري منيب في فحص واختيار العروس لا تجدي نفعًا.

بعد أن تطور الأمر من «**شوية أحمر عالخدود وباروكة ودمتم**» إلى ورش صيانة وعمرة كاملة من الرموش والحواجب وزرع الشعر والأسنان البيضاء «**لزوم الابتسامات الأمريكاني**» إلى مراكز خدمة

وصيانة «**النسوان**» من شد وتصغير وتكبير و«**سمكرة**» الأرداف والأكتاف.

وفي ظل هذا العالم السيليكوني تغيرت المفاهيم، وانتهى عصر «**لبس البوصة تبقى عروسة**»، لتظهر شعارات جديدة مثل «**احقن البت يا مان تبقى كيم كاردشيان**»، و«**انفخ مراتك يا حُصري ولا تبُصش لسما المصري**»!

وبالطبع فإن ذلك ليس هجومًا على السيليكون في حد ذاته كمادة كاوتشوكية تشبه «**الملبن بعين الجمل**».

فلا أحد ينكر فوائده في حياة النساء، فبالتأكيد أن لهذا السيليكون الكاوتشوكي القدرة على الحماية من الصدمات، مما أدى لإنقاذ حياة العديد من السيدات الذين قذف بهن أزواجهن من البلكونة عقب اختلاف بسيط على مصروف البيت.

كما أنه وسيلة جيدة للحماية من ضرب الأزواج المتهورين لأن له خاصية الارتداد العكسي الفيزيائية.

فالزوج المتهور المسكين حينما يحاول ضرب زوجته السيليكونية بقوة تساوي «**واحد نيوتن**»، ترتد إليه الضربة بمقدار «**عشرة نيوتن**»، وفي عكس الاتجاه طبقًا لقوانين الحركة والكم الفيزيائية السيليكونية.

ورحم الله «**الخواجة نيوتن**» الذي لم يشهد على كسر قواعده التي أفنى عمره فيها ولا تعديل نظريات آينشتين من قوانين نظرية النسبية إلى قوانين النظرية السليكونية الحديثة.

باختصار شديد:

نحن نعيش في عالم مقلوب مخادع وتوفرت لنا كل أساليب الخداع، للتجميل وللوجاهة وللهروب من الحقائق...

فمثلًا في وسائل التواصل الاجتماعي ستجد ما تبحث عنه كثيرًا، صورة بروفايل لفتاة حالمة مع خلفية من غروب الشمس وبعض كلمات نزار قباني، واسم صاحبة الصفحة (**فراشة هائمة في بستان العشق**)، وتلك الفراشة الهائمة ليست إلا «**البت شوقية**» الممرضة في قسم المسالك البولية بمستشفى قصر العيني.

ولأن شوقية فراشة هائمة على صفحات الفيسبوك، فبالطبع قبلت صداقة (**رحال في بحر الوتر من دون شراع**)، وذلك الرحال بصورة بروفايل جورج كلوني وخلفية جيتار في إضاءة خافتة وبعض الشموع، ولن أخفي عنك أن الأستاذ رحال هو في الحقيقة «**زكي بكابورت**» أجدع غطاس مجاري فيكي يا بلد».

ويبدو أن شوقية وزكي، أو الفراشة والرحال قد جمعهم شيء مشترك بين المسالك البولية وبلاعات الصرف، ولكنه شيء لم يفصح أحدهم للآخر عنه.

وفي المحادثات الليلية الجميله وأرق عبارات الغزل وتبادل القلوب والغمازات والابتسامات «**الإيموجية**» اللطيفة، داب كل منهم عشقًا في الآخر وأصبح بكابورت أو الرحال في بحر الوتر أمل وفتى أحلام شوقية الفراشه الهائمة.

وكما اعتادوا كل ليلة...

وبعد أن ينهي زكي بكابورت الرحال في بحور الوتر آخر غطساته في تسليك البلاعات، وينتهي من «**دعك**» جسمه بسلك المواعين ومية النار، ويضع على رأسه نص «**إزازة الكولونيا**» وعلبة «**الجيل المزفلط**» على شعره ويلبس «**أجدع سلسلة جنزير وخاتم أبو فص في الصباع الصغير**»، يبدأ في التأهب لوضع «**المُحن**» ويتحول إلى كائن «**مسبلاتي بعيون دُوبلي**»، وبكل رقه ودلع على أنغام خافتة لمهرجان «**أديك في السقف تمحر**» يطرق باب المحادثة «**الفيسبوكية**» على الفراشة الهائمة.

قائلًا أو كاتبًا : وحشتيني... «**مع إضافة حوالي سبعة وثمانين قلبًا وبوسة إيموجية من إياهم**».

لترد عليه سريعًا الفراشه : وأنت كمان يا قلبي.... (**وتبدأ السهرة السعيدة**)

والمحادث الليلية الطويلة الرقيقة الحالمة، بينما الفراشة وبكل إخلاص وضمير لم تتخلَ عن واجبها كملاك رحمة في نوبطجية الليل في المستشفى، ولم تمنعها محادثة الرحال عن تأدية واجبها المقدس، كما لم تكسر بخاطر الرحال حتى تبدأ المحادثة، حينما كانت تداوي جرح الأسطى «**علي طربقها**» مريض البواسير، وبكل تفاني ظلت تعتني جيدًا «**ببواسيره**».

ولا ارتضت المسكينة أن تقطع حبل خيال الرحال حيث تابعت الحديث وهي تضع الدواء للمعلم «**مدبولي العرقان**» في حقنة شرجية، ففي ذلك الحين كان قد وصل عشق الرحال إلى الهيام وأخبرها بأنه يحلم أن يقبل يدها الرقيقة.

فما كان من الفراشه سوى أن حاولت تحقيق أمنية العاشق الرحال ووضعت الحقنة الشرجية على جانب سرير المعلم «**مدبولي العرقان**»

وصورت له يدها بكل رقة ونعومة وأرسلت له الصورة حتى يظل يقبلها طوال الليل.

وازدادت لوعة العشق بينهم حين أخبرته الفراشه على استحياء أنها حين تغمض عينيها تشعر بأنفاسه وتشتم رائحة عطره الجذابة.

وأخبرته كم كانت تتمنى أن يرافقها في شاليه الساحل الشمالي مع شلة النادي، ولكنه اعتذر بلطف لارتباطه بالسفر لباريس في نفس التوقيت.

وظلت المحادثات الليلية الطويلة طوال الليل حتى الصباح، ولم تتوانَ الفراشة عن استكمال المحادثة حتى بعد انتهاء النوبطجية وأثناء عودتها إلى المنزل في الميكروباص.

ومع آخر كلماتها: تصبح على خير يا قلبي.

حين كانت تنزل من «**التوكتوك**» أمام بيتها الكلاسيكي في «**قلعة الكبش**» كأنها سندريلا في حواديت الأطفال.

وينهي الرحال المحادثة بكل حب مع شوق لليوم التالي وعيناه جاحظتان من السهر كأنه حيوان «**الكوالا**» هرب من القطيع، ويقوم المسكين من فراشه الدافئ وعيناه تملؤهما النوم، لا يوقظه إلا برودة مياه الصرف الصحي مع أول غطسة في بلاعة «**دوران شبرا**».

وكما بدأت قصة الحب تلك واستمرت أيامًا وشهورًا انتهت للأسف، فهكذا طبع الزمان.

انتهت قصة غرام زكي وشوقية مثل آلاف القصص..

حين قبلت الفراشة صداقة (**قلب الأسد الحزين في غابة الأوهام**)

وحين قبل الرحال صداقة (**عاشقة في زمن الذكريات تحت المطر**)

وكما انتهت قصة الحب الليلية بدأت قصص جديدة باستخدام «**ميك اب**» من نوع آخر

تجميل آخر وخداع جديد

تجميل افتراضي ولكنه ليس على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي.

نوع جديد من التجميل ظهر في حياتنا، كما أن هناك أنواعًا قديمة ما زالت مستمرة، كالنكتة القديمة «**البايخة**» التي لا يمل من حكايتها البعض كأنها جديدة في كل مرة ويضحك وحده عليها.

في النوادي والمجتمعات الراقية دائمًا ما تجد ألف «**جربوع وجربوعة**» في ثياب فاخرة يظهرون دائمًا كوضوح الشمس دون أن تجهد نفسك لمعرفتهم من ملابسهم ذات الماركات العالمية... بدون داعٍ، ومن «**حشر**» الكلمات الإنجليزية في الجمل بدون معنى، ومن الحَديث عن المطاعم والكافيهات المشهورة التي استمتعوا فيها بشرب كوب القهوة أو تناول وجبة غذاء لمجرد أنها أغلى وجبة على وجه الأرض، تستطيع أن تجلس على فراشك وتصنع لنفسك كوبًا من الشاي بالنعناع وتستمتع بالمشاهدة والتسلية، وتشعر كأنك تتابع حظيرة طواويس كبيرة يتبارى كل طاوس في فرد ريشه الملون أكثر من الآخر في مشهد «**بهلواني أرجوزاتي**» بديع.

ولأن الطاوس يقاس بجمال ألوان الريش وحجمها، لم يهتم أحد بملاحظة أن رأس الطاوس لا يتعدى حجم «**الفِجلة**»، ولا حتى أهمية الفِجلة في مكونات طبق «**السلطه البلدي**»، وكلما ازداد الريش حلاوة، اقترن ذلك بوجود رأس الفِجلة، تمامًا مثل هؤلاء المتجملين الطاوسيين كلما ازداد «**الاستايل**» والشياكة والتفاخر، ازداد معدل «**الهيافة**» والسطحية والفراغ.

ودائمًا في حياتك ما تقابل أحد تلك «**البلاليص الفارغة**» يقتحم يومك لبضع ساعات لا غرض له ولا فائدة سوى أن يفرغ عليك ما يحتويه ذلك «**البلاص**» من حكايات مضروبة غرضها التجميل الاجتماعي.

تمامًا مثل شخص أصابه مغص شديد يبحث عن «**الكنيف**»، فإن أسعدك الحظ وقابلته وهو يتلوى من المغص ولأن المسكين في هذه الحالة غالبًا ما يختلط عليه الأمر، فإنه يظن رأسك وأذنيك هذا «**الكنيف**»، ومتى أفرغ حكاياته «**الكنيفية**» انتهى ما يصيبه بالمغص وتركك ليبحث عن «**كنيف**» جديد ليفرغ نفس حكاياته وبطولاته الوهمية في آذان أخرى حتى وإن لم ترغب في الاستماع فلن يتوقف سيل الحكايات حتى ينتهي، وإن قاطعته أو أردت تبادل الحديث، فلن تجد لحديثك مكانًا ولا أدنى اهتمام، كأنك «**لهو خفي**» لا يُرى ولا يُسمع، فوظيفتك في الحياة في تلك الساعات هي الاستماع فقط حتى ينتهي المغص أو ينتهي «**الميك اب**» الاجتماعي، وذلك النوع منتشر لأنه رخيص الثمن، لا يكلف شيئًا تقريبًا سوى بعض الوقت، وهذا غالبًا متوفر بكثرة لشخص تافه خاوي العقل، أما الميك أب المُكلف غالي الثمن، فتجده أيضًا في ڤيلا فاخرة في «**كومباوند**» راقي مع مالك جديد وسيدة المنزل تطل عليك مرتدية فرو ثعلب فاخر في شهر يوليو وتسمع صوتها الساحر الجذاب في وصلات «**شرشوحية**» مع جيرانها لأن مستوى عقلهم الضئيل لا يستوعب إلقاءها لكيس الزبالة في الشارع..

أو حين تركن سيارتها الألمانية الفاخرة أمام باب جراج الڤيلا المجاورة.

تلك نماذج نسميها «**الشبع من بعد الجوع**».

ولكنها تسمية خاطئة، (**فالجوع هنا لم ينتهِ أبدًا**)، ولكن فجأة أضيفت له أصناف جديدة في القائمة، ودون أن يعلم أيًّا منها تناسبه، أو أيًّا منها يعجبه طعمًا، فلم يهتم بالطعم وأصر على تناول جميع الأصناف، ولأنه لا يستسيغها ولأنها لا تناسبه ظل «**جوعان**» دائمًا ولن يشبع أبدًا!

ناهيك عن إصابته بالمغص الذي يتطلب «**الكنيف**».

وتلك النماذج أيضًا لن تجهد نفسك كثيرًا حتى تدركها، بل هم سيتبرعون بذلك ولن يجهدوك لمعرفتهم.

إن الجمال هبة من عند الله وكما أن المرأة الجميلة لا تحتاج إلى تجميل

كذلك نحن،

كلما امتلأ عندنا الوعاء لم نفتقر إلى مزيد،

وكلما أردنا التشبه بالطاوس، أصبحنا «**برأس فجلة**»،

وكلما تباهينا وتفاخرنا بريش مزيف، كانت رؤوسنا فارغة،

نحن في ظل بحثنا ومحاولتنا إكمال النقص فينا أمام الناس ضللنا الطريق، وتركنا ما يجملنا فعلًا إلى بعض المساحيق التي تلوثنا، تركنا ملء عقولنا وأخلاقنا ولونًّا وجوهنا وملابسنا وأحاديثنا بمساحيق التجميل، وكما أن المرأة القبيحة تداري قبحها «**بالميك أب**»

فسرعان ما يزول التجميل حين ينكشف الكذب والتضليل ليظهر القبح أقبح في المرة الثانية.

وفي النهاية...

فأنت مهما لونت وجهك وتجملت لن ترسم صورتك في أعين الناس.

الناس هي من ترسم الصورة وليس أنت.... ستضيع نقودك هباءً وكل محاولاتك في استخدام الميك آب!

عبده كنكة

في يوم مشؤوم من أيام شهر يوليو شديد الحرارة كان موعدي المحتوم مع مع الروتين والبيروقراطية، حيث كنت واقفًا في طابور السجل المدني تقريبًا منذ بدايات القرن السادس عشر وحتى هذه اللحظة.

وفي أثناء وقوفي أمسح عن وجهي سيل العرق وأترقب بعيني الفهد تلك الحركات «**البهلوانية**» التي يقوم بها بعض المواطنين «**الفهلوية**» في التسلل أمامي في الطابور حتى أنقض على كل مغتصب لدوري.

وفي وسط «**أسنس عرق الشعوب المنهمر**» ورائحة «**شرابات**» المواطنين ظهر لي من العدم (**ملاكي الحارس**)!

أفندي يرتدي «**نظارة قعر كوباية**» ويضع منديلًا ملونًا «**كروهات**» على رقبته و«**قفاه**»، ومال علي بحركة بوليسية جاسوسية محترفة وعيناه تنظر يمينًا ويسارًا باحترافية «**ديلر مخدرات**»!

وهمس في أذني بصوت خافت: عاوز تِخلص؟

أجبته على الفور: أبوس إيد سعادتك.

قال لي بثقه وبلهجة حازمة وبإشارة من يده كأنه سلطان المماليك: ورايا.

لن أطيل عليكم، لم يمر أكثر من عشر دقائق وكنت خارج السجل المدني فخورًا مزهوًّا «**ولا أحمس يوم ما انتصر على الهكسوس**».

وحدث هذا بالطبع بعد ما قدمت فروض الولاء والطاعة في هيئة «**خمسين جنيهًا متكرمشة**» في وسط الأوارق.

المهم، خرجت وما زالت آثار المعركة تؤثر علي؛ صداع شديد وضعف عام وانهيار نفسي عصبي.

علمت أن تلك الحالة منتشره جدًّا في الطوابير الحكومية واسمها العلمي

«**حكوما ـ فوبيا**».

نصحني أحد المواطنين المتمرسين في الطابور والذي قضى فترة شبابه ونضوجه واقفًا في هذا الطابور بأن أذهب إلى الصيدلية التي افتتحت أمام مبنى السجل المدني لتقدم علاج هذه الحاله فقط...

وأشتري منها شريط «**طابوروتين**» بعد الأكل، وطمأنني كثيرًا بأن العديد من الناس قد أصابتهم تلك الحالة وقد تم شفاؤهم وعادوا مواطنين.

اقتنعت بنصيحته وفعلًا اشتريت الدواء ولكنني خشيت أن أذهب للمنزل بحالتي تلك قبل أن أتناول الدواء، فلم أسأله عن إذا كان هذا المرض معديًا أم لا، وخفت من نشر العدوى لأولادي...

فقررت في النهاية أن أجلس على «**القهوة**» كالعادة أشرب القهوة وأتناول الدواء قبل ذهابي للمنزل...

وقد كان.

جلست إلى «**الترابيزة**» المعتادة بالقهوة وبصوت مرتفع قمت بنداء (**عبده كنكة**)، وطبعًا أتى إلي بسرعة وعبارات الترحيب على لسانه وهذا بالطبع لأني «**زبون**» قديم، لأنه اعتاد مني «**بقشيش محترم**».

المهم؛ حضر (**عبده كنكة أجدع قهوجي في البلد**).

قلت له كالعادة: كوباية قهوه دوبل وصاية يا عوباد على مزاجك.

وذهب عبده لإحضار القهوة وأنا منتظر..

وفجأة وجدت (**ملاكي الحارس**)، ذلك الموظف في السجل المدني يدخل من بوابة القهوة في نفس اللحظة التي ارتفع فيها صوت لا أعرفه يقول: اتفضل يا حاج أبو المكارم... احنا هنا في انتظارك.

رد أبو المكارم بصوت عالٍ:

ـ آسف جدًّا عالتأخير، لكن أعمل ايه؟ دا وقت الحكومة ولازم أحلل مرتبي.

وقبل أن أندهش أو أسخر (**بحرف السين وليس الشين**)، وجدت عبده كنكة كان قد وصل بالقهوة، ومن فضولي الشديد سألته:

ـ أنت تعرف أبو المكارم دا؟

رد عليا كنكة:

ـ أومال، دا راجل بركة... راجل بتاع ربنا.

ارتفع حاجباي فوق مستوى رأسي في الهوا، لكنني أكملت حديثي وسألته: عرفت منين يا أبو الأكناك؟

قال لي:

ـ دا كل يومين بيقعد قعدة زي دي علشان يصلح ما بين الناس ويحكم بالعدل بينهم، مش قلتلك راجل بتاع ربنا؟

وهنا وصل بي الاستفزاز لدرجة غير طبيعية، فقررت أن ألعب لعبة قذرة بعض الشيء.

عرضت على عبده كنكة عشرين جنيهًا وقلت له:

ـ بقول ايه؟ عاوزك تسمع الكلام وتحكيلي.. عصفورة يعني.

وبالطبع لم يوافق في بداية الأمر وقال لي:

ـ أنت فاكرني إيه يا أستاذ..

لكن مع ارتفاع العرض إلى مئة جنيه وافق على نقل كلام كل «**ترابيزات القهوة**»، وليس فقط أبو المكارم.

وبدأنا أنا وعبده كنكة نلعب اللعبه القذرة....

وذهب «**مستر كنكه**» في مهمته «**البصَّاصية الجسَّاسية**» وجلست أنتظر بمنتهى الحماس وصول «**الحواديت**».

دقائق قليلة ووصل البطل الهمام وقال لي:

ـ اسمع يا سيدي...

وبدأت اللعبة

ـ ترابيزة الحاج أبو المكارم، الراجل الطيب بيصلح بين الأستاذ نزيه وحماه أبو مراته، أصل يظهر إن حرم الأستاذ نزيه قفشته بيخبي أنابيب بوتاجاز في المنفذ اللي شغال فيه ويرجع يطلعها للناس بثمن تاني في السوق السودا، قامت سابتله البيت وراحت عند أبوها.

ـ ها ياسيدي وبعدين؟ عمك أبو المكارم حكم بإيه؟

ـ راجل محترم، حكم عليه إن الفلوس اللي خدها من غير حق تبقى حرام ولازم يطلعها لوجه الله، مش بقولك راجل بركة؟

«**بعد ما الدمعة فرت من عيني وجسمي قشعر من التقوى**» قلت لعبدُه:

ـ طيب..... واتكلموا في ايه تاني؟

ـ بس يا سيدي، بعد ما صالحهم على بعض اتكلموا بقى شوية في الكورة والدوري والكأس.

قلت له والفضول قد تمكن مني و«**استحليت اللعبة**»:

ـ التفاصيل يا عبده، احنا متفقين ودي مية جنيه، والا ايه؟

ـ ماشي، كان بيتكلم عن ماتش الأهلي وبيقول الجون الأولاني أوفسايد والحكم يا إما قابض يا إما حمار...

ولأني لا أفهم شيئًا في كرة القدم، لم أهتم كثيرًا، ولكني قلت له:

ـ طيب ننقل بقى على ترابيزة تانية.

ـ عينيا، الترابيزة اللي على اليمين دي قاعد فيها الكابتن (**علي سِمانة**) والكابتن (**زكي شِنكار**)، دول مدربين كورة وقاعدين بيتكلموا برضه على ماتش الأهلي.

ـ وبيقولوا ايه يا معلم؟

ـ بيتكلموا على ضربة الجزاء، الكابتن سِمانة بيقول إن اللعيب كان لازم يتطرد علشان اللعبة خطيرة.

ـ طب وكابتن شِنكار بيقول ايه؟

ـ بيقول أهو كل من هب ودب بقى بيفتي في الكورة، دا حتى فيه حمير مش فاهمين حاجة بتقول على ضربة الجزاء مش مظبوطة، لا والمصيبة في الحمير اللي بتقول عالجون الأولاني أوفسايد.

ـ وبعدين يا عم كنكة؟ قالوا ايه كمان؟

ـ ما فيش يا بيه، هو بس كان الكابتن سِمانة بيقول إن خلطة اللبان الدكر والزعتر وريشة كتكوت يتيم مع ورقة بفره بتعالج الزهايمر.

ـ وبعدين يا اسطى كنكة؟ ايه كمان؟

ـ ما فيش يا بيه، أصل ساعتها نده عليا الدكتور طاهر وروحته.

ـ طيب وماله، قل لي بقا الدكتور طاهر كان بيكلم مين؟

ـ كان قاعد لوحده يا بيه، بس كان بيتكلم في التليفون ومترفز أوي، عمال يحكي لواحد إنه زهق من الشغلانة من كتر ما كل واحد بيفتي فيها وبيقول أي كلام فارغ وهو مش فاهم ولا دارس سبع ثمن سنين زيه وزي غيره.. كان متضايق خالص يا باشا.

ـ وبعدين؟ يعني إيه اللي مضايقه كمان؟

ـ بيقول يا بيه إنه هو جاي في الطريق في أكتر من ساعه علشان فيه حفر كتير وقال إيه بيعملوا كوبري في حتة ما لهاش أي تلاتين لازمة وفلوس بتترمي عالأرض وبيقرفوا الشعب ويعطلوه بس.

ـ دي احلوت أوي.. إيه كمان يا ابو الأكناك يا جامد؟

ـ ما فيش يا سعادة البيه، ما هو أصل الباشمهندس سيد مدني هو كمان نده عليا ساعتها.

ـ ماشي، المهم المهندس سيد مدني قال إيه هو كمان؟

ـ لا دا بقى حكاية، كان قاعد هو والريس (**حسنين سَقالة**) بيتكلموا في الأسمنت والطوب والرمل.

ـ ايوه بيقولوا ايه يعني؟

ـ الباشمهندس كان بيقول للريس سَقالة يحضر نقلتين أسمنت بكره الصبح عشان يبدؤوا في المشروع الجديد وكان عمال يشكيله من إنه زهق من كتر ما بيشرح للناس فوايد التخطيط المعمراني والناس عمالة تفتي في اللي ليها واللي ما لهاش وتخطط وترسم على مزاجها وهو اللي قعد سنين في كلية الهندزه وكدا.

ـ والريس سقالة قاله ايه يا ترى؟

ـ ما فيش ياباشا، قاله ولا مؤاخذة دول ناس جهلة حَكِم التعليم باظ سعادتك وما فيش مدرس بيشرح في المدرسة، بس رد عليهم الأستاذ (**إسماعيل مسطرة**) كان قاعد على الترابيزة اللي جنبهم ويظهر كدا سمعهم.

ـ يا راجل دي اللعبة احلوت أوي، وقال لهم إيه يا كنكنك؟

ـ قال لهم يا بيه المشكلة مش في المدرس، دي المشكلة في الوزارة كل يوم تطلع قرار شكل ومزهقة المدرسين عالآخر.

ـ ما قلتليش يا معلم كنكة، هو مين الأستاذ مسطرة دا أصلًا؟

ـ إيه دا؟! حد ما يعرفش الأستاذ مسطرة وحش الرياضيات؟ دا صاحب سنتر الدروس الخصوصية اللي في أول الشارع وبيجي هنا بين الحصص كل ساعتين يشربله حجرين معسل.

ـ آه كدا فهمت، وإيه رأيه بقى؟ كمل كلام سكت ليه؟

ـ ما فيش ياباشا كان بيقولهم لو الحكومة تزود مرتب المدرسين وتوفر فلوس كتير بدل ما هما عمالين يشتروا بيها طيارات وغواصات وحاملات جنود وكلام زي كدا ما لوش لازمة!

ـ وبعدين؟ دا الموضوع كبر أوي!

ـ المهم يا باشا، وانا قاعد بظبط الشيشة لإسماعيل أفندي مسطرة سمعت طراطيش كلام كدا من ترابيزة البهوات.

ـ ومين البهوات دول بقى وكانوا بيقولوا إيه؟

ـ لا ياباشا ما تودنيش في داهية وطي صوتك، دول يا باشا كانوا ظباط كبار أوي وخرجوا معاش وكل كام يوم يتجمعوا هنا يتسلوا شوية، وبصراحة يا باشا أنا ما افهمش أوي في كلامهم بس هما دايمًا يتكلموا في حاجات كدا زي إستراتيجي والكلام دا، وبيقولوا إن الطيارات والغواصات والحاجات دي خلت الجيش بتاعنا بقى ميه ميه وبيتريقوا على الناس اللي مش فاهمة.

ـ وايه كمان يا كنكة؟ قول كمان.

ـ والله يا باشا أنا فيه حاجات زي دي ما أفهمهاش زي الترابيزة بتاعت أحمد أفندي الديمقراطي ومحمد أفندي الاشتراكي والأستاذ ناصري.

ـ مين دول كمان؟

ـ دول ولا مؤاخذة قاعدين هنا ليل نهار تقريبًا كدا عواطلية، بس مرة سمعت واحد فيهم بيكلم قناة اللي (**سبق أكل النبأ**) بيقولهم إنه ولا مؤاخذة ناشز سياسي.

ـ بيقوله ايه يا عبده؟ ناشز سياسي؟ قصدك ناشط.

ـ ايوه هو دا يا بيه بس ولا مؤاخذة حاسسهم كدا زي ما يكونوا ملبوسين والعياذ بالله.

ـ ازاي يعني يا ابو العريف؟

ـ تلاقيهم كدا ياباشا على طول يزعقوا ويمسكوا في بعض ويرجعوا يضحكوا ويتمتموا بشوية كلام غريب زي ما يكون تعاويذ والعياذ بالله.

ـ غريبة صحيح! بيقولوا ايه يعني؟

ـ حاجات كدا ديموجرافية والا ليبرالية ومنظور رأسمالي وائتلاف وحياة حزبية.. همَّا بيتحزبنوا على مين يا سعادة البيه؟ همَّا بيعملوا حاجة لا مؤاخذة تغضب ربنا؟!

ـ لا ما تشغلش بالك انت يا كنكة، المهم كمل ايه كمان؟

ـ بيقولوا يا بيه إن سياسة الحكومة متخبطة.. هي لا مؤاخذة الحكومة كانت هنا على الناصية يوم ما الميكروباص دخل في الكشك ولا اتخبطت ازاي يا بيه؟
ـ قلت لك بلاش تفكر يا كنكة، احكي بس.
ـ على قولك يا بيه، ما هو برضه ممدوح بيه قال لي كدا.
ـ مين ممدوح بيه دا؟
ـ دا راجل موظف كبير أوي يا باشا وفاهم في الكلام دا، ولما بيقعد يفهم العيال دي بتسكت خالص وما تعرفش ترد، وعلى طول قعدته مع الأستاذ فكري منير.
ـ مين بقى فكري منير دا كمان؟ أنت لخبطتني.
ـ دا يا باشا راجل بيقعد هنا من الصبح حاطط قدامه لا مؤاخذة كتب كتير وماسك قلم وهاتك يا كتابة طول النهار ما بيزهقش، دا حتى كان لسه جايب في سيرة حضرتك دلوقتي.
ـ في سيرتي انا؟ هو يعرفني منين؟
ـ لا ما يعرفكش ياباشا، دا كان بيشكيلي بس انه متضايق من الدوشة ومش عارف يركز وبيقولي نفسه يبقى رايق كدا زي حضرتك وشكلك كدا صاحي من النوم رايق وآخر مزاج وقاعد سلطان زمانك.
ـ تصدق يا كنكة ان انا الغلطان اني لعبت معاك من أصله، دا انت لخبطتني أكتر ما انا متلخبط.. غور من قدامي.

وأخيرًا ذهب عبده كنكة من أمامي..

وعدت لأشرب «**أول شفطة**» من كوب القهوة، لكن للأسف وجدتها قد أصبحت باردة كالثلج، فناديت ثانية عبده كنكة وقلت له:

ـ تصدق انك قهوجي حمار ما بتعرفش تعمل لا قهوة ولا شاي ولا حاجة، لما تلاقيني بتكلم تحط الطبق فوق الكوباية علشان تفضل سخنة يا مغفل..... زي كدا..

لكن وأنا أرفع الصحن من مكانه لأضعه أعلى الكوب، وبدون قصد انقلب الكوب وتناثرت القهوة على ملابسي وعلى المنضدة، وعلى «**الورقة الحزينة بتاعت السجل المدني**»، وتجمدت في مكاني مثل الصنم في ذهول، ووجدت نفسي بدون أن أشعر أنادي بصوت مرتفع وأقول:

ـ جايلك يا ابو المكارم.

كرباج ورا يا أسطى

كعادتنا دائمًا..

نصبح متأثرين بالعادات والتقاليد والموروثات القديمة في حياتنا..

ومن تلك الموروثات هي وسيلة المواصلات السائدة في شوارعنا في حقبة ما قبل المحركات البخارية، وتلك التي تعمل بالوقود والتطور الذي شهدته على مر السنين.. كانت ما يسمى «**بالحنطور**»، وهو تلك العربة التي تجرها الخيول بكبرياء وشياكة في الطرقات ومعلق بها آلاف الأجراس و«**الجلاجيل**».

وتحولت تلك العربة «**الكارو**» إلى سيارة تعمل بالوقود أو الغاز الطبيعي، ولكن بطبيعتنا العاطفية التي ترفض اندثار الأصالة في حياتنا، فقد احتفظنا بوظيفة «**العربجي**» خلف مقود تلك السيارات!

ولأن «**العربجي**» قديمًا كان يقود ذلك «**الحنطور**» باستخدام ما يسمى بـ «**اللجام**»، وهو ذلك الشريط الجلدي الرفيع الذي يمسكه في يده ومثبت برأس الحصان وبواسطته يتحكم في اتجاهات سيره

وسرعته وتوقفه، فقد اكتسبنا تلك العادات في قيادتنا للسيارات، تقريبًا بنفس المنطق،

ولأن «**العربجي**» كان يقود كائنًا حيًّا وفي بعض الأحيان كان لذلك الكائن متطلباته وآراؤه الشخصية التي لا توافق رأي «**العربجي**»، فكان أحيانًا ما يحدث بعض الأشياء غير المحسوبة أو الخارجة عن السيطرة...

مثلًا أن يصيب الحصان مغص شديد في أثناء مرور «**الحنطور**» أمام «**فطين بيك**» و«**باكينام هانم**» وهما يستقبلان بملابس السهرة وصول المدعوين للحفل الخيري المقام في قصرهم العامر.

ولأن هذا الكائن لا يتمتع بقواعد الإتيكيت الأرستقراطية المعهودة، فلم يكن ليستطيع التفرقة بين «**الكنيف**» المعتاد في الإسطبل وبين حديقة قصر «**باكينام هانم**»، ويبدأ في التخلص من مسببات المغص في سيمفونية راقصة.

يتكفل هو بالموسيقى والأصوات، ويتكفل ضيوف حفل «**فطين بك**» و«**باكينام هانم**» بالرقص أثناء تفادي الأشلاء المتناثره يمينًا ويسارًا على الفساتين المنفوشة والسترات الأنيقة!

وظلت تلك الموروثات حتى يومنا هذا..

فالتطور الطبيعي لموسيقى وأصوات تخلص الحصان من «**المغص**» تحولت إلى «**مهرجانات**» من جميع مخلفات الأحصنة والحمير على السواء في آذاننا المسكينة، وتحول رقص ضيوف حفل «**باكينام هانم**» إلى رقصات عديدة وتشنجات لا تختلف

كثيرًا عن تشنجات الحمار أو الحصان أثناء إخراجه لما كان يصيبه بالمغص!

وتطور الأمر بعد سنوات طويلة واندثر استخدام الأحصنة والحناطير في المواصلات إلى سيارات تعمل بالوقود ويضاف إلى محركاتها الزيت، ويبدو أن هذا الزيت في بعض الأوقات يصيب المحركات أيضًا بالمغص، فتجد هنا وهناك على الإسفلت، بعض بقع الزيت المخرجة من المحركات بعد وصلات المغص، بل وفي الكثير من الأحيان تصدر المحركات أصواتًا من فرقعات واحتكاكات معدنية وتخبطات لا تختلف كثيرًا عن إيقاع موسيقى الحصان أمام حفل «**باكينام هانم**».

ولا تختلف كثيرًا أيضًا عن أصوات مغص المهرجانات الموسيقية.

كما قد يضعك حظك العاثر يومًا خلف «**شكمان**» سيارة مصاب محركها بالمغص الشديد، وتخرِج عليك «**هبابًا**» أسود خانقًا يذهب بك فورًا إلى مستشفى الصدر، وأنت لم تدرك للأسف أن ذلك «**الشكمان**» هو الوسيلة الوحيدة للمحرك لإخراج الغازات!

وظلت الموروثات تتحكم بحياتنا في إيقاع «**حناطيري**».

فعلى سبيل المثال: تطورت «**بردعة**» الحصان التي كانت تصنع قديمًا من أشرطة جلدية على جسده، لتصبح اليوم على هيئة حزام أمان في السيارات الحديثة، وكما كان الحصان غالبًا ما يضايقه ارتداؤها، ظل ذلك موروثًا لدينا ولم يرتدِ أحد منا في السيارات في الطرقات أي حزام أمان!

وتطور الأمر أيضًا في السير في الطرقات، فكما قلنا سابقًا، كان دائمًا للحصان آراء مختلفه عن رأي «**العربجي**» في الانقياد له بواسطة استخدام «**اللجام**».

ففي أيامنا هذه قد تجد فجأة وأنت تسير في الطريق سيارة هوجاء تميل ناحيتك دون سابق إنذار ولا تفلح معها أي محاولات لآلة التنبيه أو حتى الصياح والشتائم، وتتحرك السيارة من تلقاء نفسها من أقصى يسار الطريق حتى أقصى اليمين وتقف على جانب الطريق وتفتح أبوابها لركوب زبون!

قد تتخيل أنت عن طريق الخطأ أن من يقودها لا يحسن القيادة، أو أنه لا يتبع قواعد المرور، أو أنه يتعمد ذلك، أو حتى أنه قد أصابه وعكة صحية مفاجئة، أو مغص شديد «**من بتاع باكينام هانم**».

لكنك مخطئ تمامًا وغالبًا ما تكون ظالمًا في حكمك على السائق!

المسكين أصابه موروث قديم من تمرد الحصان على «**العربجي**»، لم يكن الأمر بيده، ولا بد لك من منحه العذر!

وكما كان قديمًا، لم يكن الحصان كأي كائن حي تتوفر له إمكانية إضافة أسلاك كهربية وكشافات ومصابيح خلفية.

لا تتجرأ أنت اليوم وتطلب من «**عربجي**» العصر الحديث استخدام مثل تلك البدع أثناء رغبته في الدوران فجأة أو التوقف المفاجئ.

الموروثات يا صديقي لا بد من احترامها!

تذكر دائمًا الحكمة الشهيرة «**من فات قديمه تاه**».

وكما كان قديمًا الحصان كأي كائن حي من حقه الأصيل أن يتحرك بطبيعته فيذهب يمينًا أو يسارًا أو حتى يعود إلى الخلف، أو يدير اتجاهه كما يشاء ويسير في أي طريق بحرية ودون قيود «**العربجي**» التي لا تقرها كل جمعيات حقوق الحيوان ولا منظمات الرفق بالحيوان واليونسكو، ظل ذلك أيضًا موروثًا في حياتنا.

وحفاظًا على كل الحريات في المجتمع المدني من حرية التعبير وحرية الرأي وحرية الاعتقاد و«**حورية فرغلي**»، كان لا بد من مناقشة قانون جديد يبيح حرية سير السيارات في أي اتجاه وتجريم من يصف السير في الاتجاه المخالف بأنه «**عكسي**»، فهو تعبير خاطئ تمامًا، من أخبرك أنه عكسي؟ أستطيع أنا أيضًا أن أنظر إليك من الاتجاه الآخر وأقول لك إنك تسير «**عكسي**»!

هذا اللفظ الدخيل على حياتنا لا بد من إلغائه، وفتح كل الطرقات لجميع الاتجاهات، لا بد أن نحترم موروثاتنا.

فما المشكلة في توقف السيارة في منتصف أي شارع وعودتها للخلف؟ وما المشكلة في سيرها في الاتجاه المخالف؟!

لا بد أن نعود للسهولة في الحركة المرورية، حتى نلبي كل الاحتياجات للمواطنين!

فبالتأكيد إن كل من يفعل هذا في الطرقات ليس بيديه ما يفعل، هو كما قلت لك دائمًا مجبر على ذلك، تحكمه كل موروثات تمرد الحمار والحصان على «**العربجي**»!

وطالما ظلمناه وتجنينا عليه ونحن لا نعلم معاناته الشديدة، حتى إنك إن تطاولت عليه في ذلك الوقت ورفعت صوتك بالتوبيخ والشتائم، وحاول المسكين أن يرد عليك وفتح فمه ليتكلم وجد ما يخرج منه «**نهيقًا**»، ففي تلك الحالة من التلبس التام لشخصية الحمار أو الحصان يفقد النطق بالكلمات البشرية وما يستطيع سوى «**الصهيل أو النهيق**»، وإن أوقفته رغمًا عنه ونزل من السيارة لوجدته رغمًا عنه يقف على قدم واحدة ويرفس بالأخرى!

ما ينبغي فعله في ذلك الوقت هو وضعك لبعض البرسيم في حقيبة سيارتك تحسبًا لتلك المواقف، حتى تهدأ ثورة ذلك السائق و«**رفساته**».

وكما كان قديمًا دائمًا ما يمسك «**العربجي**» في يديه «**كرباجًا**» يستخدمه في «**لسوعة**» الحمار أو الحصان حتى يعود إلى رشده إن تمرد عليه أو سلك طريقًا خاطئًا أو تصرف من تلقاء نفسه ودار بالعربة عكس الاتجاه، كان لا بد من اختراع «**كرباج**» جديد يصلح لأيامنا هذه، وهو ما تجده دائمًا اليوم في يد ضابط المرور في الطرقات، ولكن لسبب مجهول تم تغيير اسمه ليصبح اسمه الجديد «**دفتر مخالفات**»!

وذلك الدفتر الكرباجي هو وسيلة «**اللسوعة**» الجديدة، ولكن اختلف عن القديم في الصوت، فكان للكرباج القديم صوت مميز يشبه «**الطرقعة**» أثناء استخدامه، أما اليوم فأصبح الصوت (**تشييت**) المميز لقطع الورقة، وكما كان يعقب صوت «**الطرقعة**»

وما ينتج عنها من «**لسوعة**» الحصان تعالي صوت صهيله المتألم، ظلت العادة الموروثة على هيئة توسلات و«**صعبانيات**» ومحايلات والعديد من الحكايات عن ضيق الحال ومصاريف المدارس والدروس الخصوصية والمرض وعمليات القلب والشلل والجري على اليتامى و«**ربنا يخليلك عيالك**» وفواصل عديدة من كلمة «**باشا..... باشا..... باشا**»

يتبع ذلك دائمًا محاولة تدبير قيمة المخالفة!

وكما كان في الماضي، كان غالبًا هذا هو السبب الذي من أجله كانت تقام الحفلات الخيرية لجمع التبرعات في قصر «**فطين بك**» و«**باكينام هانم**».

إمسك متحرش

تنزل كل يوم من بيتك في الصباح، في طريقك إلى عملك، وكأي مواطن شريف تحمل في يدك كيس القمامة المتجمعة من اليوم السابق بغرض إلقائه في عربة القمامة الأقرب لك.

عربات القمامة الحديدية التي وفرتها البلدية في عدة مناطق، والتي يتم فيها تجميع الأكياس على مدار اليوم، ويتم تفريغها يوميًّا بواسطة عربات البلدية الكبيرة المخصصة لذلك...

ولكنك لا تعلم عن الأمر سوى ظاهره...

وبكل صفاء نية وتلقائية تلقي بكيس قمامتك في مكانه الطبيعي..

لا تدري أنك تلقي به إلى التهلكة، ذلك الكيس المسكين!

فبلا دراية منك، لا تلحظ أولئك المتحرشين المنتظرين خلف صندوق القمامة، أولئك الذئاب البشرية الذين تخلوا عن كل معاني الرحمة والإنسانية وتحولوا إلى وحوش كاسرة!

ألف شخص أو يزيد، من الرجال والنساء على السواء يقفون خلف الأستار يراقبون في صمت مخيف، وكلهم يشبهون شخصية (**حمدي الوزير**) وهو يحرك لسانه في فمه من داخل وجنتيه وينظر تلك النظرات الشيطانية، ينظر إلى كيس القمامة ويركز عينيه على فتحات يد الكيس المقفله بإحكام وهي تنظر إليه بضعف وتوسل، ويحرك رأسه حركته الشهيرة داعيًا الكيس إلى الرذيلة، تلقي كيس قمامتك البريء وتذهب... ولا تعلم ما ينتظر المسكين من مصير مؤلم...

فما تمر ثوانٍ عن تخليك عنه بكل نذالة، حتى يهجم عليه الذئاب البشرية في همجية يهتكون عرضه البلاستيكي، وينهشون براءته...

في حفلات من المجون الراقصة على أنغام مهرجانات شعبيه تعلو في خلفية المشهد المقيت من «**تروسيكلاتهم**» المتناثرة في الشارع هنا وهناك...

ويصارع الكيس المسكين عشرات الأيدي حتى تخور كل قواه البلاستيكية ويستسلم لهتك عرضه!

وتتلقف الأيدي المخلبية كل محتوياته في حركة تشبه التجديف للخلف ناثرة كل محتوياته كنافورة في الهواء ما تلبث أن تتساقط على الأرض يتخللها حصول الذئب على غنائمه من المسكين في هيئة علبة من الصفيح أو قطعة من الكرتون أو زجاجة بلاستيكية، مخلفًا لوحة تشكيلية سريالية على أرضية الشارع من كل

ما لذ وطاب من أصناف القمامة وآثار الزيت والكاتشب والأوراق والأكياس المتناثرة هنا وهناك.

وما يلبثون أن يتركوا المسكين عاريًا في القمامة وقد تمزع كل ما يواري سوءته...

ولا يمنعهم ذلك عن إعادة التحرش الجماعي بأكياس أخرى طوال الليل والنهار في مشاهد ماجنة مقيتة.

وفي وضح النهار، وتحت مرأى ومسمع من كل المواطنين الذين زالت منهم النخوة فجأة، أو ذهبت الشجاعه والمروءة في دفاعهم عن شرف الكيس، وتستمر التحرشات والغنائم من الصفيح والبلاستيك والكرتون بفعل ما أطلق عليهم «**النباشين**»، ذلك اللقب سيئ السمعة الذي اكتسبوه بالتشبيه بأولئك الذين ينبشون قبور الموتى في الظلام.

والحقيقة إنني طالما كنت أحاول أن أكون مُصلحًا وأن أُعلي قيم الشرف، فما كان مني سوى أن أحاول «**لم الفضيحة**» وتدارك ذلك الموقف المهين واقترحت ذات يوم «**توفيق كيسين في الحلال**»، وإقامة حفل زفاف جماعي لكل «**نباش**» وكيس القمامة الذي سبق وهتك عرضه، وهي وسيلة جيدة لـ «**الستر عليه**».

لكن لا أخفي عنكم أن مجرد عرضي ذلك الأمر قد عرضني أنا شخصيًا للتحرش! لفظيًا، أقصد (**التحرش اللفظي**)، لا تفهم كلماتي خطأ!

وفكرت أيضًا إذا كانت تلك الرغبات الشهوانية للنباشين تتجه نحو أكياس القمامة أن نتدارك الوصول بهم إلى عدم السيطرة عليها بذلك الحد، ونبتكر موقعًا إليكترونيًّا مثلًا على غرار تلك المواقع التي تعرض فيها بيانات راغبي الزواج ويتم التنسيق بين زوار الموقع للتعارف.

فابتكرت الموقع فعلًا تحت مسمى «**زبالتك عندنا**» وشرعت في نشر الإعلانات كالتالي:

(كيس زبالة مقاس ٧٠ * ٩٠ أسمر اللون – يداه ناعمتان – بشرته ملساء – على قدر من النقاء من الشوائب – بِكر غير معاد تدويره ـ من بلاستيك معالج – يحتوي على كل الصفيح والكرتون الذي تحلم به – يقدس الحياة بصندوق القمامة – يهوى سماع المهرجانات – يرغب في شاب نباش شعره منكوش وأكرت في العقد الثالث من العمر يتوفر لديه مقلب زبالة صفيحتين ودورة مياه عمومي)..

وانتظرت التفاعل على الموقع، لكن تلك الفكرة أيضًا فشلت، فلم أتلقَ سوى الشتائم!

ولم أفهم جيدًا ما السبب الذي يجعل الشباب العاشقين للزبالة بذلك الحد يرفضون ذلك «**في الحلال**» ويستمرون في فعلهم الشائن في قارعة الطريق، يبدو أن المشكلة كانت أكبر من قدرتي على الفهم، حقًّا كانت المشكلة مجتمعية من الأساس...

وذات يوم قرأت في الجريدة عن تفعيل قانون جديد للتحرش، فاستبشرت خيرًا، نزلت سريعًا إلى الطريق وهرولت حتى أول صندوق قمامة حتى أتابع تنفيذ القانون، لكن للأسف وجدت الحال كما هو، لم أستطع إطالة النظر لهذه المأساة، وواريت رأسي خجلًا من المشهد.

عدت ثانية لأقرأ الجريدة وأتفحص نص القانون جيدًا، لكن للأسف لم أجد به فقرة تتحدث عن أكياس القمامة!

ظل الأمر يراودني كثيرًا ويقلق راحتي وهدوئي.. فكيف لي أن أشارك كل يوم في هذه المهزلة؟ أنا من يلقي إليهم الأكياس المسكينة كل يوم تاركها لهم يفعلون بها الرذائل..

فقررت أن أغير الواقع المرير.

استقطعت غرفة من المنزل لوضع أكياس القمامة بها يوميًّا في أمان بعيد عن أيدي المتحرشين، ويومًا بعد يوم بدأت الغرفة في التكدس، وأنا ثابت على موقفي النبيل، بل لقد خصصت لهم غطاء من أغطيتي يقيهم برد الليالي الشتوية ويداري مشهد الأكياس العارية حتى لا تثير أي رغبة عند أحد زوار المنزل من الضيوف.

وكيس فوق الآخر حتى امتلأت الغرفة وبدأ يتصاعد منها روائح تشبه رائحة معمل الكيمياء في أثناء إنتاج غاز الميثان وللأسف تزايدت الروائح كثيرًا وجلبت لي على باب البيت آلاف القطط وآلاف الفئران وملايين الحشرات الطائرة.

لكن ذلك لم يثنني أبدًا عن موقفي النبيل..

حتى بعد إصابتي بأمراض الجرب وضيق التنفس..

وكنت يوميًّا أستقبل الجيران في وصلات من الامتعاض والشتائم بسبب الرائحة التي ميزت المبنى بأكمله وليس فقط منزلي..

وكنت دائمًا ما أحاول استنفار مبادئهم في الحفاظ على الآداب العامة وأحاول إيقاظ ضمائرهم الغائبة عن حماية الأكياس المسكينة من التحرش وهتك العرض في قارعة الطريق...

في البداية كانوا يستمعون إلي ويوبخونني بألفاظ وشتائم، ثم تطور الأمر للاعتداء بالضرب بالأيدي والرأس، ثم تطور للضرب «**بالجزم**»...

ثم في النهاية وباندهاش شديد وجدتهم يبتسمون لي ويعاملونني بمنتهى اللطف!

من الواضح أنهم أخيرًا تفهموا موقفي، واستيقظت ضمائرهم!

ويومًا ما دق جرس الباب، فتحت بتلقائية، فوجدت شخصًا يرتدي سترة ونظارة طبية غليظة على عينيه ومعه رجلان يرتديان زيًّا موحدًا أبيض اللون ويمسكون في أيديهم رداءً غريبًا تملؤه الشرائط القماشية ومصمم بطريقة غريبة حيث فتحات الأيدي للخلف!

سألني الرجل عن سبب جمعي لكل تلك الأكياس من القمامة، فأخبرته بالسبب بكل فخر، وشرحت له كل ما حاولت القيام به من قبل حتى وصلت إلى هذه المرحلة!

ابتسم وأخبرني: ألف مبروك، حضرتك حصلت على جايزة نوبل في الزبالة، واحنا جايين ناخدك تستلم الجايزة.

وكم كانت سعادتي أنني قد وجدت أخيرًا من يقدرني وذهبت معهم لاستلام الجائزة..... وكلي سعادة وفخر.

تنمية لا مؤاخذة.. بشرية

في حياتي العديد من النماذج التي طالما صادفتها وأود مشاركتها معكم.

على سبيل المثال نموذج الأستاذ «**ن**».

رجل يعيش على هامش العلم والمعرفة والاحترام، تجلس معه لأول مرة تنبهر من فائض درايته وتُذهل من كم علاقاته الشخصية مع كل «**الكبار**» في كل المجالات، رجل يستطيع جلب «**لبن العصفور**» من الصحراء الجرداء ويأتي لك بالعصفور شخصيًّا عن طيب خاطر.

يرتدي أفخر الملابس وأفضل الساعات السويسرية، ويركب أفخم السيارات الألمانية....

رجل لا يشق له غبار في جذب أطراف الحديث وجمع الكثيرين حول مجلسه بانبهار وتقدير لشخصيته....

وتمر الأيام والمواقف، لينكشف الستار تدريجيًّا، لأكتشف بعد أيام قليلة زيف ما كنت أراه...

الرجل أجوف، تافه إلى أقصى الحدود، جاهل لا يتقن في الحياة غير أمرين لا ثالث لهما...

الأول هو كونه تابعًا مخلصًا لكل صاحب نفوذ أو سلطه أو مال.

والثاني هو إتقانه الشديد لكل ما يتعلق بالتجهيز والتحضير والإعداد لكل متطلبات أصحاب النفوذ.

الرجل كان في الأساس «**شماشيرجي**»، ولكنه يتمتع بذكاء اجتماعي شديد مكنه من تقمص آلاف الشخصيات التي يعايشها (**لكونه التابع لها أثناء باقي أوقات حياته**)، ويعيش أدوارًا كثيرة على كل من لا يعرفه..

واتضح لي أن كل الملابس والساعات وحتى السيارة، كانت عطايا.

لم يشغل بالي كثيرًا، ولم أسمح لنفسي يومًا أن أعطيه مساحة من حياتي واهتماماتي، ولكن ما زلت أتابعه وأتابع تصرفاته وما زلت أجد كل يوم أحد الضحايا الذين يتعاملون معه على اقتناعهم بكونه «**العالم ببواطن كل الأمور**»، ويرون فيه المثال على الشخصية الناجحة.

نموذج آخر هو نموذج الأستاذ «ج».

ذلك النوع من البشر الذي يشعر دومًا بالدونية، وإن زال عنه شعوره عاد ليبحث عنه، ويثبته لك دائمًا بمقارنات لا داعي لها.

سلوكه لا يتبع الشرف على وجه الإطلاق.

معاملاته المادية من نوعية «**تعد صوابعك**» بعد مصافحته وهو يعلم ذلك جيدًا، وبدون أي سبب مقنع دائمًا ما يدير دفة أي حوار إلى أن يروي لك حكايات الفاسدين والمرتشين الذين طالما حاربهم بنزاهة وكانت النتيجة أن لوثوا سمعته وقالوا عنه الأقاويل..

دائمًا ما يداري تخبطه في عدم تفهمه لوظيفته بالحديث عن مشاعر المحيطين به رفضًا لعبقرياته، ويخبرك دائمًا عن الظلم الذي تعرض له والذي لولاه لكان من العظماء..

حصل هذا الرجل على بعض المال ليس بمجهود أو عن طريق الكسب، ولكنها كانت أموالًا مشروعة...

ولأنه لا يتوفر لديه أي مهارة تذكر، فقد وضعهم في يد أحد الناجحين كشريك بالمال في شركة محترمة..

وبدون أي داعٍ ملأ صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي بصوره وهو يرتدي فيها السترات الأنيقه على هيئة المدير العام.

وبلا هدف ظل يرسل لكل من يعرفه عروضًا للتوظيف لا ينطبق أي شرط منها على من يرسلهم إليه، لا ينطبق في الأمر كله سوى رغبته الملحة في إخبارهم أنه مدير ولسان حاله يقول: (**لقد أصبحت شيئًا الآن، وأريدك أن تعمل لدي، فأنا أفضل منك**)

وأيضًا لم أشغل بالي كثيرًا بذلك، وتعاملت مع الأمر كله على أنه وسيلة للابتسامة بين آن وآخر...

ولكن كما النموذج الأول تمامًا...

البعض ممن لا يعلم عنه شيء، ولا يعلم تاريخه الطويل، قد يتبادر إلي أذهانهم كونه مثالًا على الشخصية الناجحة.

النموذج الثالث هو الأستاذ «**س**».

شخص طموح، لديه القدرة على العمل، والرغبة في العمل، والدافع، لكنه يفتقر إلى أهم سببين للنجاح؛ الرؤية والصبر.

عرفته يومًا حين عرف نفسه إلي كصاحب مشروع في أحد المجالات، ومرت بضعة أشهر ورأيته ثانية..

فأعاد تعريف نفسه كصاحب مشروع بمجال آخر مختلف تمامًا، وقد تكرر الأمر عدة مرات بنفس الطريقة!

الرجل يبدأ بامتلاك المشروع ويعمل حتى يواجه أول مشكلة من جراء عدم خبرته بالمجال فيبدأ حماسه يفتر، ولا يتطلب الأمر سوى مشكله أخرى أو اثنتين حتى ينهي كل ما بدأه ومن ثم يبدأ من جديد في مجال آخر، ليصطدم ثانية، وهكذا دواليك.

لم يكتسب من خبراته العديدة سوى خبرة الوقوع في المشكلات!

لم يدرك أن بتخطيه للمشكلة الأولى والثانية والثالثة ومعرفته بأسبابهم تكون المحاوله الرابعة هي المتلافية للمشكلات.

لم يجرب الرابعة قط..

ولم تختلف مبرراته أو إسقاطاته غالبًا عن أسباب الفشل.

لم يدرك الرجل الذي يحمل شهادة جامعية أن هناك بقوانين الفيزياء والرياضيات شيئًا اسمه العامل المشترك، الذي أدى به إلى الفشل...

وكالعادة لم أُطِلْ المشاهدة ولم أشغل بالي طويلًا، ولكن وكالعادة أيضًا فإن من سيتعامل معه الآن دون معرفة تاريخ المحاولات المتكررة المتطابقة سيجد فيه أيضًا نموذجًا للرجل الناجح.

نموذج آخر هو الأستاذ «م».

ذلك الشاب الطموح ذو المسؤوليات، والذي يهدف لرفع مستوى معيشته بالعمل والبحث دائمًا عن أفضل الحلول وأكثر الوظائف تميزًا، وذلك الذي يحمل فيه يده (**سيرة ذاتية**) يظن فيها أنه مكسب كبير لأي مؤسسة، وبأنه الموظف المثالي الذي تحلم به كل شركة، ويظل يبحث عن العصا السحرية ولا يتقبل ارتباطه بأي عمل دون المستوى الذي خططه لنفسه، ولا الراتب الذي ينهي جميع مشكلاته ويلبي كل احتياجاته ويؤمن له الرفاهية دفعة واحدة، ويدخر ما تبقى منه.

إنها أزمة الطموح لوظيفة «**المدير العام**».

هو ذلك الشاب الذي يريد أن يقفز فوق حواجز الزمان والمكان والمعقول، ويوميًّا يفقد شيئًا فشيئًا من مدخراته وأحلامه ويتحول للاقتراض على أمل السداد بعد شغل وظيفة الأحلام.

وأيضًا لم أشغل بالي كثيرًا بذلك، فما دام أنه راضٍ وسعيد بذلك ومقتنع بآرائه، لن تغير أنت أو تضيف شيئًا...

ولكن أيضًا دون معرفة وثيقة بذلك الرجل قد تجلس معه ذات يوم وتقتنع بكونه شخصًا ناجحًا له العديد من النجاحات المتمثلة في (**سيرة ذاتية**).

نموذج آخر هو الأستاذ «**ك**».

رأيته منذ شهور قليلة وهو يشتري ويبيع إحدى السلع المرتبطة بموقف طارئ، تندثر أهميتها بنهاية الموقف، ويتربح منها أرباحًا لا توصَف ولا تخضع لأي رقابة أو ضمير.

الرجل مجرد تاجر، قد يطلق عليه لقب (**تاجرحرب**) لما في الموقفين من تشابه مع تجار السلع الأساسية الذين ينشطون وتزدهر تجارتهم في أزمات الشعوب.

لكن الحق يقال، فالرجل يتمتع باللباقة وحسن المظهر والتعليم العالي والشهادات العليا، مما أهله في وقت ما للظهور كوجه مشرف في العمل الحزبي والسياسي، وبلا أي مؤهلات عدا اللباقة وحسن المظهر.

الرجل في الحقيقة كان أفاقًا لا يسعى سوى للمصلحة.

ولكنني فوجئت منذ أيام قليلة برؤيته على شاشة التلفاز يقدم نفسه بصفته مالكًا لأحد المصانع التي تنتج نفس السلعة في إحدى المناطق الصناعية، يتحدث عن دور الصناعة الوطنية في النهوض بالاقتصاد ورفع المعاناة عن المواطنين، ودور رجال الصناعة

الوطنية، بل يتحدث عن معاناة رجال الصناعة والمشكلات التي تواجههم في الحصول على المواد الخام وتشغيل العمالة والإجراءات الورقية واستصدار التراخيص اللازمة، الرجل الذي لم يكمل أكثر من شهرين كرجل صناعة...

وبمتابعتي لباقي اللقاء، ظهر شخص آخر طالما كان تابعًا للرجل وظيفته تتلخص في حمل حقيبة الأوراق والتجميل الاجتماعي..

تحدث ذلك الشخص أيضًا عن نفس المشكلات والجهود العظيمة للرجل في إنهائها بفضل ما يتمتع به من علاقات وحكمة ودراية، وبأن لولا الرجل ما كان الحلم قد أصبح حقيقة.

ولم يتناسَ بالطبع التنويه في اللقاء عن دور الرجل السياسي والحزبي، كان إعلانًا مدفوع الأجر، لم يكن لقاءً على الإطلاق.

لن أكذب وأقول إنه لم يشغلني الأمر، لكن للأسف فمن شاهد اللقاء مثلي دون علمه بتاريخ الرجل لن يقفز إلى ذهنه أبدًا سوى أن هذا المتحدث هو المثل الذي لا بد أن يحتذى به في النجاح والنزاهة والشفافية والتفاني في خدمة الوطن.

وسيصبح ذلك المشاهد أول المصوتين لصالح الرجل في الانتخابات.

نموذج آخر هو الأستاذ «ع».

والحق يقال، إنني لم أحتقر في حياتي أكثر من هذا النموذج، الرجل في الأساس تاجر، يعمل بشراء وبيع السلع، ولكنه يبحث دائمًا عن أرخص السلع وأردءها، وعن المغشوش منها غالبًا بدون

النظر إلى إن تسبب ذلك في ضرر لأي شخص، ويتفاوض دائمًا مع من يشتري منه لتنزيل ثمن السلعة مقترِحًا كل الاقتراحات التي تزيدها رداءة إذا كان ذلك يخفض ثمنها.

لكنه في البيع تنقلب شخصيته وأسلوبه تمامًا، فيبيع بأكثر ثمن يستطيع، ويتحدث ساعات ويتفاوض أيامًا مع من يشتري منه في سبيل عدم التخلي عن قرش صاغ واحد من الثمن!

الرجل يربح نقودًا كثيرة، لكن إن رأيته يمر بجوارك في الشارع، قد تخرج بعض الجنيهات من جيبك وتعطيها له ظنًّا منك أنه متسول.

قد يرتدي نفس الملابس لشهور إن لم يكن سنوات.

يستقل سيارة شعبية مر على تاريخ صناعتها ثلاثون عامًا!

نصف حديثه أو أكثر عن الأخلاق الحميدة والدين والتقوى!

وهذا الرداء الزائف من الإيمان والصلاح هو ما أهله لجمع نقود الزكاة من بعض الأغنياء بغرض توزيعها على الفقراء، بينما ذهبت تلك النقود دومًا إما لشراء أصول وأراضٍ باسمه، أو بتوزيع بعضها على أقربائه المحتاجين في هيئة منح من رجل الكرم!

يضج حديثه بما وصل إليه الحال من جراء الفساد وذهاب الأخلاق، ولا يمانع أبدًا من دفع الرشاوي والتعامل مع الفاسدين في سبيل المصلحة، الرجل كان شيطانًا وثعبانًا متلونًا!

لا أستطيع الإنكار أن هذا الرجل قد شغل بالي فترة من الزمن، حتى قررت إخراجه من حياتي يومًا، وبلا رجعة.

ولكن للأسف لم يزل يتعامل مع الناس بوصفه «**الحاج**» صاحب المبادئ والقيم العليا ورجل البر والإحسان.

وقد تصادفه أيضًا يومًا ما وتظن فيه ذلك إن لم تعرف تاريخه!

النموذج الأخير كان هو الأستاذ «ح».

عرفته منذ فترة طويلة جدًّا، وأحببته، شاب مثابر، على دراية كافية بمتطلبات عمله وبارع فيه، لديه مكتبه الخاص ويعمل لديه بعض الموظفين، متحمل لمسؤوليات عائلته بعد وفاة والده، أفنى من حياته سنوات لمساعدة أخواته الإناث وتلبية متطلباتهم للزواج، وحاملًا لهموم إخوته الذكور الذين دائمًا ما يتعثرون في المشكلات المادية ويسددها لهم ويساعدهم على بدء حياة جديدة، طموح، على خلق، وعلى قدر جيد من الثقافة والفكر والمعرفة، أنيق في ملابسه، يرتدي أفضل الثياب والماركات، يمتلك أفضل الهواتف، يقتني أفضل الساعات على الرغم من جميع المساعدات التي يقدمها لعائلته..

مشكلته الكبيرة كانت في اقتناعه بإمكانية فكرة الثراء السريع، طرقعة الأصابع الشهيرة التي تجعل من الشخص ثريًّا فجأة دون مجهود وبطريقة سحرية، أو صفقة جهنمية في وقت ما.

ومرت الأيام، وعلى فترات بدأت تتضح الحقائق.

الرجل لم يتحمل مسؤوليات على الإطلاق، لا الإناث ولا الذكور!

الرجل كان مسقطًا كل إخفاقاته وتهوره على شخصيات إخوته، ومتقمصًا دورهم هم في إنقاذه! مستغلًا عدم معرفتك بهم ومطلِقًا العنان لخياله بتبديل الأدوار!

حتى يتضح لك فجأة أن حتى الملابس والساعات والهواتف كانت هدايا من أخواته الإناث!

ويتضح لك أن وسيلته لكسب رزقه لسنوات كانت مبلغًا من المال يتسلمه كل شهر من أخواته نظير متابعته لأملاكهم!

فجأة تنقلب كل الأدوار.. يتضح لك كل الزيف، الرجل كان مجرد فراغ كبير، يعيش حياته كلها في وهم، وكان هو نفسه أكبر مصدق له، كان يعيش هذا الوهم على أنه حقيقه لا غبار عليها.

والحقيقة أن اتضاح تلك الحقائق استغرق أطول وقت في حياتي لمعرفته، لأنني استغرقت وقتًا طويلًا جدًّا بين عدم التصديق والرفض وتكذيب ما تراه عيناي.

ولا أنكر أنني حاولت المساعدة مرات ومرات وبكل الطرق، لتغيير هذا الواقع بعدما فهمته أخيرًا وصدقته، حاولت تغيير كل هذا الوهم الذي يعيش فيه، وحتى لمحاولة إنقاذ ما تبقى من عمره وإعادته للحياة في العالم الحقيقي، لكن كل محاولاتي لم تفلح، لأنه رفض بشدة الخروج من الكذبة الكبيرة، وظل حتى النهاية متقمصًا للشخصية الوهمية التي ارتاح للحياة داخلها.

ولم أستطع التعايش مع هذا، أنا حياتي طالما كانت حقيقية، عمل وجهد وصبر ومثابرة، لم أستطع تقمص شخصية الصديق

المخدوع الذي يسمع أكاذيب ويخجل من فضحها لك حفاظًا على شعورك، وأن أظل أستمع لها مرارًا وتكرارًا كل يوم وأبتسم ببلاهة.

ووجد في طريقه ذات يوم فرصة لحلم الثراء السريع!

انجرف فيها بكل جوارحه، ونسي الزمان والمكان وكل القواعد، والحقيقة أنني لا أعلم إن كان قد استفاد منها حتى ولو بالقليل!

لأن حظه الغابر أوقعه في شخص من النموذج السابق (**الأستاذ «ع»**)، وتلاقت أحلام (**ع وح**) وبين التطلع والطمع والفساد هوى الاثنان إلى كل الرذائل، ثم ما لبثوا أن أصبحوا أعداء ولم يحققوا حلمهم.

وكان هذا تقريبًا آخر حائط صد لتركيبته النفسية، عندما هوى هوت معه كل شخصيته التي عرفتها وتبدل إلى شخص آخر، يحاول أثناء النجاة جذب أي إنسان في طريقه للغرق، خسر كل شيء حتى صديقه الوحيد بعد أن أضاع من عمره سنوات طويلة، والحقيقة أن هذا الرجل كنت أحبه، كان بمثابه أخ لي، وكانت لي معه أيام كثيرة، وذكريات جيدة، وله ما أتذكره له من مواقف جيدة جدًّا.

لكنني حاولت كثيرًا أن أوفي حقه علي في العديد من المرات التي حاولت أن أغير حياته بعيدًا عن الأحلام الوردية وأعيده إلى الطريق الوحيد الذي يستطيع فيه أن يجد نفسه.

وعندما فشلت، ومع آخر لقاء بيني وبينه، كان آخر استحقاق له عندي، ومن يومها، خرج من حياتي تمامًا بلا رجعة.

كان صديقي الذي لم أعرفه لسنوات!

أعلم إنني أطلت عليك في النماذج والأمثلة..

لكنها كانت مدخلًا نستطيع منه معرفة طباع البعض وأصناف البشر، ولم يكن غرضي أن أصيبك بالملل، لكن مقدمتي كانت ضرورية لاستبيان مرادفات النجاح والناجحين ومعرفة أسباب النجاح الحقيقية من بين كل النسخ المشوهة في الحياة.

الشخص الناجح غالبًا ما يسير في طريقه، لا يلتفت كثيرًا حوله ولا ينظر إلى اتجاه آخر، ولا يحاول المقارنة أبدًا بسوى نفسه من سنوات وبما وصل إليه الآن كانت تلك المقدمة ضرورية لمساعدتك في التعرف على كثير من النماذج التي تراها يوميًّا وتنخدع أحيانًا فيها...

لا أنكر أنه كان لي تجربة شخصية في العمل في أكثر من مجال.

وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين مجالات عملي، فإنني أدعي أنني قد حققت نجاحات ملموسة في المجالات التي عملت بها ولو بنسب مقبولة.

لكنني هنا لا أتقمص دور الأستاذ والمعلم والعارف ببواطن الأمور، وإنما تلك التجارب وبعض الخبرات قد أضافت لي ووضعت في طريقي العديد من الشخصيات كما وضحت لك سابقًا، ومن كثرة التحليل والمشاهدة رأيت أصنافًا عديدة من البشر على كل أوجه اختلافهم، ومن تلك الخبرة التي أدعيها أحببت أن أطرح

عليك رؤية مختلفة قليلًا عما يطرحه أغلب مدربي التنمية البشرية (**وبالطبع لست منهم**)، وعن المتحدثين عن ذلك العلم من كل الذين صادفتهم في حياتي.

وهي رؤية من الممكن أن تعتمد على تجارب شخصية واقعية من الحياة.

لن أطيل ثانية، ولكن يشغلني هذا الأمر.

التنمية البشرية.

هناك نوع من الناس ترى أنه «**حاجة عيب**».

حاجة «**لا مؤاخذة**» عيب نتكلم عنها، ومدعاة للإحراج الشديد، إن «**قفشني**» أحدهم أسمع أو أشاهد فيديو عن التنمية البشرية، ومن الممكن أن يتحول الأمر إلى تنمر أو «**تريقة**» إذا ما شاهدني أحد وأنا أتابع هذا الأمر!

قد تكون ثقافة نحتاج إلى تغييرها، لكن الفكرة أنك إذا فعلت هذا الأمر وأنت تخبئه عن الأعين وتتخفي أثناء فعلك له تكون قد فشلت في أول درس وباقي الخطوات لا يمكن أن تصل بك لأي شيء...

وهناك نوع من الناس غالبًا ما يكون في موقف أسوأ من الأول، وهم على العكس تمامًا، أولئك هم المدمنون على التدريبات والتجمعات والفيديوهات المتعلقة من قريب أو بعيد بالتنمية البشرية.

ليس فقط مجرد متابعين جيدين جدًّا، لا، بل مجانين بها ومتحدثين بها في كل كلامهم وحاضرين لكل الندوات والأحداث المتعلقه بها، وهؤلاء من خبرتي أسوأ كثيرًا!

لأنهم دائمًا لديهم ما يشغلون به أوقاتهم بالتعلم أكثر وأكثر، وحتى الوصول لنهاية الطريق، ومن ثم سيبدؤون التطبيق!

وقد صادفت الكثيرين بهذه الطريقة، يسمع جيدًا ويتكلم جيدًا جدًّا، لكن الفعل صفر! «**زيرو (اللي هو دايرة فاضية من جوا)**».

والمشكلة أن «**بدروم**» الشعارات والحكم التي يسمعوهنا ويرددونها في كل لحظة على الأغلب ما تعطيهم إحساسًا نفسيًّا زائفًا بالنجاح والتطور.

تمامًا مثل المسكنات أو المخدرات التي تمنعك عن أي عمل آخر مفيد.

للأسف أحيانًا ما يصبح ذلك الإدمان يشبه كثيرًا إدمان «**الفيس بوك**» وتضييع الوقت أمام شاشة بلا نهاية وبدون فائدة تذكر.

وهناك نوع آخر يرى أن التنمية البشرية ليست إلا «**كلامًا فارغًا**» من الأساس، ومجرد وسيلة لشغل وقت الفراغ ربما، و«**تضييع وقت وفلوس**» أو وسيلة «**لأكل العيش**» عند بعض الناس، ووسيلة «**للتزويغ**» من العمل عند البعض الآخر لحضور التدريبات التي تنظمها الشركة أو المؤسسة «**ودمتم**».

وهناك نوع آخر أقابله كثيرًا، هذا النوع الذي يعدها شيئًا جيدًا جدًّا وهو مؤمن بذلك وبما لا يدع مجالًا للشك هي شيء مفيد «**بس مش لينا دي للناس التانيين**».

- يعني ايه يا عم؟ (**يرد يقولك**).
- دي للخواجات وللبهوات وللناس اللي بيشتغلوا في شركات مالتي ناشيونال والعياذ بالله، إنما احنا خلينا يا عم في الحضور والانصراف والدفاتر حرف ز، ونروح نجيب البطيخة للعيال ونروح.

نوع تاني.... «**اللي مشغول على طول دا**».

هو من دائمًا لديه ما يشغله ويقتل وقته، ويرى مثلك تمامًا أن هذا الأمر هو شيء جيد، لكنه فقط لمن لديه وقت فراغ، أما هو فلا يتوفر لديه ذلك للأسف الشديد!

وهناك نوع آخر يسمع كلامك جيدًا وبمنتهى الاهتمام والتركيز والجدية، ويتفهم جيدًا ضرورة الأمر وأهميته القصوى مع وعد بتغيير حياته تمامًا «**وتمشي أنت من هنا يقول عليك راجل رايق والله، وشاغل نفسه بشوية كلام فارغ**».

المهم، إن الحديث عن التنمية البشرية هو أمر شديد التعقيد في فهم وإدراك الناس ما بين مؤيد ومعارض ومستهزئ ومجنون بيه.

لكنك لو أردت الصراحة، ليست المشكلة في التنمية البشرية في حد ذاتها، وليست هي على الإطلاق من تصنع النجاح والناجحين! وليست هي طريق التميز والوصول إلى المناصب والأموال.

فإن هذا العلم قد ظهر من فترة ليست بالبعيدة، مجرد عشرين أو ثلاثين عامًا على أفضل تقدير.

على الرغم من أن كتب التاريخ تمتلئ بقصص العظماء والناجحين من مئات وآلاف السنين، وحتى اليوم، ستجد الكثير من النماذج الناجحة عمليًّا وربما لم يسمعوا يومًا عن شيء اسمه التنمية البشرية.

إناس مثل «**الحاج عبد الغفور البرعي**» في الواقع موجودون في العديد من الأماكن أمامك في كل يوم «**تجار كبار ومعلمين**»، قد لا يكون أي منهم قد ذهب يومًا إلى مدرسة، ولا تلقى أي نوع من التعليم، ناهيك عن تدريب في التنمية البشرية...

ليس معنى كلامي أنني أنفي كونها شيئًا جيدًا، ولكن تستطيع أن تفهم من كلامي أنها وسيلة مساعدة للشخص الناجح.

الناجح فقط... وهذه هي الحقيقة للأسف!

فلو أجريت إحصائية على دورة تنمية بشرية مثلًا وتابعت كل الحاضرين لمدة سنة كاملة، لن تجد أكثر من ٢% من الحاضرين قد تغيرت حياتهم فعلًا، وتتفاجأ أن بدون حضورهم من الأساس كانت لتتغير حياتهم أيضًا، ولكن على الأغلب في وقت أطول.

والحقيقة أن تلك النسبة متفائلة جدًّا.

وهي النسبة الطبيعية في الحياة.

في الحياة تجد شركة يملكها شخص واحد ويعمل لديه ألف شخص، ومن الألف شخص لن تجد أكثر من شخصين أو ثلاثة

على الأكثر مؤهلين ليتعلموا ويطوروا من أنفسم ويملكوا شركات في المستقبل، ليعمل لديهم نفس النسبة المتعارف عليها عالميًّا.

ولن تجد تغييرًا كبيرًا في أي مكان في العالم وفي أي مجال.

بمنتهى الصراحة، إن من خبرتي في الحياة والناس استطعت أن أجد صورة متطابقة ومتكررة لكل الناجحين، وصورًا عديدة للفاشلين.

النجاح له طريق واحد فقط... والفشل له ألف طريق وطريق، ومع ذلك فالناجحون هم العملة النادرة، لكن هذا ليس غريبًا أبدًا، لأنني نسيت أن أخبرك أننا كان لا بد لنا من إعادة صياغة الجملة الأخيرة بطريقة مختلفة،

النجاح له طريق واحد صعب وقاسي، والفشل له ألف طريق سهل ومريح.

هكذا يصبح الأمر منطقيًّا، وتلك هي الحقيقة.

ولو أنك علمت أن مجهودك الذي تبذله في البحث عن المبررات والأسباب التي أدت لفشلك، لا يهم أحدًا، لكنت وفرت على نفسك عناء التفكير في المبرر واستغللت كل دقيقة من هذا الوقت في العمل على أسباب النجاح، لأن نجاحك أو فشلك في النهاية سيعود لك لوحدك.

على كل حال، أسباب الفشل مثلما أخبرتك متعددة، وليس من الضروري ذكرهم، تستطيع القراءة والبحث عنهم بنفسك، ولا أنصحك بهذا إطلاقًا، فمجرد البحث عنهم هو إهدار آخر للوقت.

لكن الأهم هو أن تضع يديك على أسباب النجاح.

وهي بسيطة جدًّا في الكتابة والكلام، لكنها عسيرة وقاسية في التنفيذ.... «**بس ما لهاش سكة تانية**».

ببساطة..

كل الناجحين في الحياة أخطؤوا ووقعوا وتحملوا وانكسروا وتعلموا من انكسارهم ونهضوا.....

وكلهم كان يتوفر لديهم الرؤية والصبر والإصرار والالتزام والتفاؤل والأمل واليقين بالنجاح، مهما كان الطريق «**كانوا بيكملوه للآخر**».

هل رأيت كم من السهولة كتابة أسباب النجاح؟!

لم تتطلب أكثر من ثلاثة أسطر للكتابة، وبضع ثوانٍ للقراءة.. لكنها تستغرق عمرك كله للتنفيذ.

نعود للتنمية البشرية..

إذا كنت تتقبل نصيحتي

اهتم بها.... ولكن

شاهد «**فيديو**» تحفيزيًّا واحدًا، واعمل لمدة شهر، وحينما يفتر حماسك أو تواجه بعض الصعاب، أعد مشاهدة «**فيديو**» تحفيزي آخر، ثم اعمل لمدة سنة.

إصرارك والتزامك وصبرك وإيمانك بهدفك ولمس نجاحاتك في الواقع هو التنمية البشرية الحقيقية.

وأفضل التدريبات على الإطلاق هي ما ستلقيها أنت على نفسك.

وكل يوم ومع كل خطوة جديدة ستبتكر تدريبًا جديدًا.

ومن خطواتك التي تخطوها كل يوم، وتقدمك في حياتك، وتطورك وتحقيق أحلامك واحدًا بعد الآخر ستدرك أنك أنت المدرب الحقيقي الذي يجب الاستماع له..

وستدرك روعة الجهد الذي بذلته..

لا تنتظر شيئًا سهلًا ولا «**طرقعة أصابع**» تجعل منك شخصًا ناجحًا.

تذكر دائمًا أنها صعبة، وهذا أجمل ما فيها.

المُحتَوَيات

مقدمة	٥
صورة البطاقة!	١١
يعني هيَّ جَت عليا؟	٢١
حمار واحد يكفي	٣٩
فوطة زِفرة	٤٩
السيستم واقع	٥٧
ميك آب	٦٩
عبده كنكة	٧٩
كرباج ورا يا أسطى	٩١
إمسك متحرش	٩٩
تنمية لا مؤاخذة.. بشرية	١٠٧

كاريزما
للنشر والتوزيع